مفهوم ختم النبوة

نقاش مع
الأستاذ هاني طاهر

سامر إسلامبولي

دمشق 2007

بسم الله وبه نستعين

مفهوم الخاتمية

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }الأحزاب40

إنَّ كلمة (خَتَمَ) الخاء والتاء والميم تدل على عملية ارتخاء ودفع خفيف منته بجمع متصل. وظهر ذلك في حياتنا المعيشية عندما نريد أن نُنهي أمراً معيناً متفقاً عليه ، فنبدأ بذكر البنود واحداً تلو الآخر ، مع وقفة عند كل واحد للتحقق والتأكد منه وتثبيته، وهذا الفعل هو دلالة صوت (الخاء والتاء) إلى أن نصل إلى عملية النهاية فنضع البند الأخير الذي يُعطي لما سبقه صفة التصديق، والتواصل، والإكمال والتثبيت، والاستمرار لمضمون الاتفاق دون زيادة أو نقصان، وهذا دلالة صوت (الميم).

ومن هذا الوجه، يتم استخدام فعل (ختم) لكل **عمل تم الانتهاء منه بصورة كاملة، مع إعطائه صفة التواصل، والصلاحية والاستمرار، والتثبيت والمصداقية**، وهذه الصور لفعل (ختم) اقتضى في واقع حال المختوم؛ أن يكون الخاتَم هو الآخر ضرورة لازمة، وإلا انتفى عنه صفة الختم . وظهر ذلك الاستخدام في ختم العقود والوثائق ، فبعد عملية الختم لا يصح أي زيادة أو تغيير.

فمفهوم الآخر وحده؛ يدل على نهاية الأمر المتكلم عنه ، ولا يُفيد نفي وجود شيء بعده في الواقع إلاّ بقرينة تُحدد ذلك، نحو قولنا : جاء زيد آخر الناس . فهذا الكلام لا يفيد نفي مجيء أحد بعده ، لأنه من المحتمل أن يجيء إنسان بعده . فهو يُفيد الآخرية في زمن التكلم فقط، ولا ينسحب إلى المستقبل، غير أنه لا يُفيد صفة التواصل والمصداقية والإكمال للناس الذين سبقوه ، فكلمة الآخر؛ تدل على مجرد وصف حال الأمر من حيث هو آخر شيء حصل إلى زمن التكلم مع احتمال استمراره.

إذاً، دلالة كلمة (الخاتم) أعم وأشمل من دلالة كلمة (الآخر)، ولا يصح استخدام كلمة (الآخر) بدل كلمة (الخاتم) .

قال تعالى: {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يس65)

فختم الأفواه؛ هو تثبيت وتوقيف وظيفتها على شيء كامن في داخلها يقوم به جهة أخرى، وليس إغلاق الأفواه كما تُغلق الأبواب !، لأن عملية إغلاق الفم يقوم الإنسان نفسه بها، بخلاف عملية الختم؛ فلابد لها من جهة أخرى تختم عليه. وعملية الختم لا يمكن أن يتم فتحها، أو إلغائها إلا من الفاعل الذي قام بالختم . مثل إن قامت السلطات بختم محل تجاري لوقوعه بمخالفة ما ؛ فإن قام صاحب المحل بفك الختم؛ كان فعله غير شرعي ومحاسب عليه.

قال تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ } (الأنعام46)

وقال: {يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ *خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (المطففين 26)

فالمختوم؛ هو شيء تم صنعته بصورة معينة، وتم إنهاءه وتثبيته على ما هو عليه، والمحافظة على أن لا يتم عليه الزيادة أو النقصان، وإعطاءه صفة صلاحية الاستمرار.
ومن هذا الوجه لايصح أن يكون الختم في بداية الشيء أو وسطه؛ بل لابد أن يكون في آخره ضرورة.
وبعد هذا المدخل المختصر؛ نصل إلى المفهوم الذي هو محل الدراسة ألا وهو:

π رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ι

قال تعالى: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً } (الأحزاب 40)

يخبرنا الله Y كونه صاحب العلاقة في بعث النبيين، أنه قد جعل النبي محمداً ρ خاتَماً للنبيين، بمعنى أن ما تم إرساله للناس عن طريق هذا النبي الكريم هو إكمال وآخر لكل ما سبقه من الكتب الإلهية ، حيث تواصل معها، وأعطى صفة التصديق لأصلها ، ولمجموعة من مضمونها، ونسخ أو عدَّل أموراً أخرى، وأضاف أموراً، إلى أن تم إكمال المشروع الإلهي، وتثبيته وإنهاءه، وجمعه في كتاب واحد، فكان هو (القرآن) آخر الكتب نزولاً،وأخذ صفة الكامل والجامع، وكلمة (خاتَم) بفتح التاء، هي قراءة حفص عن عاصم، أما القراءات الأخرى فقد أتت كلمة (خاتِم) بكسر التاء، وبالتالي يصير معناها أن النبي محمد ρ هو الفاعل بحضوره الشخصي الذي قام بعملية الخَتْم

للنبيين، ومقام الفاعل ليس من النبي نفسه، وإنما جعله الله Y كذلك ، فصار النبي محمداً خاتَماً يتم الختم به بواسطة القرآن، وصار خاتِماً بشخصه يتم به بواسطة القرآن ختم كل ما سبق من دعوات للنبيين .

فَتَمَّ توقيف عملية بعث النبيين من الله لانتهاء مهمتهم، وبلوغ المشروع الإلهي صفة الكمال{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } (المائدة 2)، فالإكمال للدين ، والختم للنبوة الإلهية، والإتمام للعمل المحدد سابقاً.

فكل نبي هو رسول ضرورة، والعكس غير صواب[1]**، فليس كل رسول نبي**.،

انظر قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ **رَسُولاً نَّبِيّاً** }مريم51، أتت كلمة نبي بعد كلمة رسول ، وهذا يدل على إمكانية وجود رسول دون نبي، بينما النبي لا يمكن إلاّ أن يكون رسولاً ضرورة.

والرسول النبي هو على حالتين، أحدهما **صاحب رسالة**، والآخر **تابع له**، وكلاهما مأمورين بالتبليغ والدعوة والتعليم وقيادة الناس، ومَثل ذلك مَثل الرسول النبي موسى القائد، والرسول النبي هارون التابع لأخيه ووزيراً له.

فعندما قال الله Y :{وَخَاتَمَ (خاتِم) النَّبِيِّينَ}، **دلَّ ذلك ضرورة على ختم مقام النبوة بنوعيها: الرسول النبي صاحب الرسالة، والرسول النبي التابع له، وهذا ما**

(1) تم تعديل جملة (كل نبي رسول و لا عكس)بعد انتهاء الحوار، وذلك لتبين لنا خطأ القول الأول الذي كان(كل رسول نبي و لا عكس).

يقتضيه عموم النص، ولا يوجد مبرر أو قرينة لاستثناء الرسول النبي التابع من عملية الختم، وحصر الختم بالرسول النبي القائد لأن ذلك تدخّل في مفهوم النص، وإلغاء جزء من دلالته دون برهان، والختم أتى متعلقاً بمقام النبوة الإلهية حسب السياق{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }فالكلام متعلق بالنبي محمد وهو مبعوث من الله، وبالتالي لا يشمل مقام النبي الاكتسابي المستمر إلى يوم الدين، كما أنه لا يشمل مقام الرسول العادي، وهذا يدل على استمرار مقام الرسول دون النبوة، وهذا تحقق في كل من حمل الرسالة من بعد النبيين طوعاً من العلماء والدعاة والقادة الراشدين، **واستمرار وجود مقام الرسول ضرورة اجتماعية وإيمانية لإقامة الحجة على الناس، والأخذ بأيديهم إلى طريق الصواب والرشاد.**

لاحظ أن كلمة (خَاتم) في قراءة عاصم لم تأت بصيغة اسم فاعل، لأن النبي محمد ρ ليس هو الفاعل لعملية الختم، وإنما الفاعل هو الله Y، لذا؛ أتت كلمة (خَاتم) اسم للشيء الذي يتم الختم به (أداة)، وهذا ما نستخدمه في حياتنا العملية من قيامنا بتسمية الشيء الذي نختم به (خاتَم)، ومن يقوم بالختم يكون خاتِماً، اسم فاعل، ،أما قراءة الآخرين (خاتِم) بالكسر، فالفاعل هو النبي بشخصه، ولكن ليس أصالة، وإنما تكليفاً وجعلاً .

إذاً، عملية الختم في واقع الحال موجهة لمقام النبوة الإلهية بنوعيها (القائد والتابع)، وكذلك تم ختم مقام النَبوءَة كما في قراءة نافع (وخاتم النبيئين) بمعنى لم يعد يوجد

نبيء عن الله، وذلك نتيجة إكمال الرسالة، وبالتالي انتهى دور النبيين المبعوثين من الله، فتم توقيف بَعثهم، وتوقفت النبوءة عن الله ، واستمرت الرسالة الكاملة التي تحتوي مصداقيتها في مطابقة خطابها مع محلها من الواقع من خلال البيِّنات، وآيات الآفاق والأنفس،{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (فصلت 53). لأن بَعث النبيين كان أمراً لابد منه عند تشكل وتراكم نزول الرسالة الإلهية، وذلك للأخذ بيد المجتمعات الإنسانية القاصرة، وعندما وصل المجتمع الإنساني إلى بداية سن الرشد والنضج ، اقتضى رفع الوصاية الإلهية المباشرة، وتوقيف بعث النبيين لإكمال الرسالة، والذي دَلّنا على وصول الإنسانية إلى بدء سن الرشد؛ هو اكتمال التشريع وحفظه، وتوكيل الأمر إلى الرسل من العلماء والدعاة وقادة المجتمع ليستمروا في عملية التفاعل، والدراسة للرسالة الإلهية الكاملة، ويُسقطوها على الواقع، ويمارسوا مقام الخلافة في الأرض، الذي منحهم إياه الله Y.{ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً } (البقرة30).

***فدلالة كلمة (خاتَم أو خاتِم) تُفيد التواصل، والمصداقية، والصلاحية، والكمال والاستمرار، والإنهاء، والتثبيت، وآخر الشيء.* كل هذه الأمور مجتمعة؛ هي مفهوم (الخاتَمية أو الخاتِمية) في الواقع، و قد تظهر دلالات أخرى تلزم مفهوم الخاتم حين استخدامها في الواقع ، وهي ليست من الدلالة اللسانية أصلاً لكلمة خاتم مثل إن أتت في سياق وصف العقلاء فتظهر دلالة المدح ضرورة دون نفي الدلالة اللسانية، وهذا الأسلوب مشاهد في استخدام الكلمات ، وتسمى الأفعال**

أو الصفات اللازمة ضرورة وهي لاتُدرك من دلالة الكلمة لسانياً، وإنما تُدرك من إسقاط مفهوم الكلمة على الواقع، انظر مثلاً لكلمة (ضرب) فهي تدل على إيقاع شيء على شيء يترك فيه أثراً، وحين استخدامها في سياق الضرب بصورة مادية يترتب على فعل الضرب في الواقع ضرورة ظهور فعل التغطية للشيء المضروب نتيجة وقوع شيء على شيء، نحو ضرب الرقاب فقد تغطى الجزء المضروب حين وقع الضرب عليه، فهل يصح أن نقول: إن دلالة ضرب هي التغطية! أو الأمر المطلوب من فعل الضرب هو التغطية!.

لذا؛ لا يَصح وضع مفهوم (الخاتَمية أو الخاتِمية) مقابل مفهوم (الآخر)، لأن هذا المفهوم قاصر، ولا يدل على تمام وكمال مفهوم الخاتَمية، بينما مفهوم الخاتَمية يشمل مفهوم الآخر، فكل عمل مختوم لا يمكن فتحه، والإضافة له، أو تعديله دون إلغاء عملية الختم، فعندما قال الله Y: {وَخَاتَمَ (خاتِمِ) النَّبِيِّينَ}، أنهى وأغلق باب بعث النبوة الإلهية لاكتمال الرسالة ، وذلك بشخص النبي محمد نفسه ، ولن يبعث الله نبياً بعد نبيه محمد ρ أبداً؛ لا نبياً قائداً ، ولا نبياً تابعاً . وبالتالي من يَدَّعي النبوة الإلهية فهو مُفتري ، ويكذب على الله Y وعلى الناس.

ولا يصح القول إن استمرار وحي النبوة، وتواصل الله مع خلقه من خلاله، هو رحمة ونعمة، وأمة محمد أَولى من الأمم السابقة في استمرار النبوة فيهم !، وذلك للاختلاف بينهما، فالأمم السابقة أمم ناشئة مبتدئة تحت الوصاية الإلهية، أما حينما وصلت الإنسانية إلى بداية سن الرشد؛ نزل القرآن بصفته المكملة والجامعة، وأعلن الله رفع

الوصاية المباشرة عن المجتمع الإنساني، وطلب منهم الاعتماد على أنفسهم في عملية التعامل والتفاعل مع القرآن، وربط خطابه بمحله من الواقع ، ليصيرا –القرآن والعلم – توأمان لا ينفكان عن بعضهما، وأتمَّ نعمته على الناس بإكمال الدين وحفظه، وبرفع الوصاية عنهم، وتسليمهم مقام الخلافة{الْيَوْمَ **أَكْمَلْتُ** لَكُمْ دِينَكُمْ **وَأَتْمَمْتُ** عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي **وَرَضِيتُ** لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }المائدة3 .

والأمر أشبه بالوصاية على اليتامى، فإذا بلغوا بداية سن الرشد ينبغي أن تُرفع عنهم الوصاية ، ويعتمدون على أنفسهم وفق التعليمات والإرشادات التي تعلموها من الوصي، وإذا استمرت الوصاية بعد ذلك، تَحَوّل الأمر من نعمة ورحمة؛ إلى نقمة وشقاء، وانتفى الاحترام لهم، وفقدوا فاعليتهم ، وكذلك مفهوم إمكانية استمرار النبوة الإلهية بعد إكمال الرسالة، ووصول الإنسان كجنس إلى بداية سن الرشد، هو نقمة وشقاء، وليس نعمة، ولا رحمة، لأن ذلك تعطيل لمقام الخلافة للإنسان ، وانتفاء التكريم له، والأقوام السابقة لم يكتمل الدين في زمنهم، وبالتالي لم يُتمَّ الله النعمة لهم، ولم يرض عن الدين لانتفاء كماله بعد، وكل ذلك حصل في الأمة الإسلامية، **الإكمال للدين، وإتمام النعمة، والرضى من الله**، فهذا فضل ونعمة ورحمة وتكريم للأمة لم ينله السابقون، لذا؛ فَقَد سؤال هل استمرار النبوة الإلهية نعمة أم نقمة مبرر عرضه، لأن هذا السؤال قاصر وبحاجة إلى ضبط، وهو تحديده بقبل **إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب**، أم بعد حصول ذلك كله؟ فإن كان قبل ذلك فلاشك أن بعث النبيين رحمة ونعمة، وإن كان بعد ذلك فهو عبث وخطأ وجبر وقهر وفقدان الاحترام للناس

وإهدار كرامتهم، وتعطيل مقام الخلافة، فصيغة السؤال خطأ، وهو مثل من يقول: الرحمة ظلم أم عدل، وهذا خطأ، لأن الرحمة قطعاً ليست ظلماً ،وهي فوق العدل، وكذلك قول أحدهم: إن لم تكن معي فأنت ضدي.وهذا خطأ أيضاً لأنه يوجد احتمال ثالث، وهو ليس معك ولا ضدك، وإنما موقف حيادي. وكذلك السؤال السابق: بَعث النبيين نعمة أم نقمة؟. فلاشك أن بعثهم نعمة ، ولكن عدم بعثهم ليس نقمة، فالعطاء للناس إحسان وعدم العطاء ليس ظلماً أو كفراً.وهذه أمثلة لتقريب خطأ السؤال وعدم ضبطه، والصواب هو هل وجود ناس يصلون إلى مقام النبوة الاكتسابية نعمة؟ والجواب نعم، وهذا شيء موجود لم ينقطع منه زمان فهم حجة الله على الخلق، ولكن لايتكلمون باسم الخالق وغير مفوضين من قبله بخلاف أنبياء الله فهم مفوضين بالكلام عنه

فالوصاية على اليتامى نعمة ورحمة، ورفعها عن الراشدين نعمة ورحمة وتكريم واحترام وثقة.

وانقطاع النبوة الإلهية في الناس؛ لا علاقة لها بمسألة انقطاع الوحي، فقد تتم عملية الوحي من الله Y لبعض الناس لأمر خاص بهم، لا علاقة للمجتمع به، مثل قوله تعالى : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ } (القصص 7) ، فهذا الوحي الإلهي، ليس وحياً للتكليف بمقام النبوة، وليس وحياً تشريعياً، وإنما هو وحي خاص للإنسان،كرامة، وتأييداً وتوفيقاً، أو توجيهاً أو بُشرى ..، ولا يصلح أن يكون برهاناً لشيء بالنسبة للمجتمع أبداً، ولا ينسخ حكماً شرعياً بحق الفرد، ولا يضيف أي

شـيء، ولا يُلـزِم الآخـرين بإتباعـه، أو جعلـه إمامـاً، أو يُسـمح لـه بادعـاء الإمامـة، والقيادة من قبل الله !.

ومن هذا الباب، الإشارات والموافقات، والرؤيا، وما شابه ذلك؛ التي يمكن أن تحصل مع الإنسـان، فهـي كلها خاصـة لـه، لا تعني المجتمع بشـيء مـن الناحيـة الفكريـة، أو التشريعية، وقد تعني من ناحية الأحداث، مثل رؤيا الملك لسبع بقرات سمان في قصة النبي يوسف،{وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } (يوسف 43) **وينبغي على الإنسان أن ينتبه لهذه الأمور فلا تخدعه نفسه ويتماهى مع الأفكار، ويظن أنه نبياً، أو مبعوثاً من قبل الله Y !، فكل العلماء والدعاة رُسُلاً، والناس عموماً مكلفين بالعلم والدعوة، حسب مستواهم العلمي، والثقافي،**{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ}آل عمران110.

رغم أن مقام النبي أو النبيء مجرداً دون إضافته لله هو اكتسابي قد يصل إليه بعض الناس، ولكن لا يكون نبي أو نبيء الله أبداً، لأن ذلك مقام اصطفاء وبعث من الله، وهـذا المقـام الاكتسـابي بمنزلـة الأئمـة والعلمـاء والقـادة والـدعاة فهـؤلاء ينبغـي الصـلاة عليهم في المجتمع ونصرتهم طالما أنهم ملتزمون بالقرءان والعلم ويعملون من أجل النهضة في المجتمع وخيره، ولكل مجتمع نبيين، ولا يخلو الزمن منهم فهم حجة الله على الناس، وهم النجوم والمصابيح في سماء الدنيا.

أما مسألة الاستدلال على استمرار وجود النبيين بنزول عيسى υ في آخر الزمن، فهذه مسألة قد تم صنعها كهنوتياً لتبرير ادعاء النبوة، فالنبي عيسى υ أكمل مهمته الرسالية كما أمره الرب، وقد عصمه من القتل بأي طريقة كانت، سواء صلباً، أم قطع الرأس، أم غير ذلك، وأطال عمره حتى أكمل المهمة التي كلفه الله بها، فالنبييون أصحاب الرسالة من أولي العزم معصومون عن القتل المادي الذي يُزهق حياتهم، وذلك موجه لطبيعة المهمة التي كُلِّفوا بها، والقتل للنبيين القادة الذي مارسه اليهود إنما هو قتل معنوي تمثل بكفرهم وعدوانيتهم ، بخلاف قتلهم للنبيين التابعين فقد كان قتلاً مادياً، وهذا القتل غير مرتبط بزمان أو حياة النبي نفسه، بدليل أن القتل لدعوة النبيين مستمر إلى الآن{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ **وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ** بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الِّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }آل عمران21،**فهاهم الذين ينتسبون إلى الإسلام يقتلون نبيهم محمد ρ من خلال محاربة دعوته بوعي أو دون قصد**، وكذلك مسألة رفع عيسى فهي رفع قيمة، وليست رفع مكان . قال تعالى على لسان عيسىυ:{مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (المائدة 117)

والوفاة للنفس بغير رجعة تكون حين موتها{اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (الزمر42)، ولا يوجد وفاة للنفس دون رجعة إلا بموتها، وذلك خلاف وفاة النفس أثناء المنام، فإنها ترجع للحياة الفاعلة في الدنيا.

فالنبي عيسى توفاه الله بعد أن مات، وانتهت مهمته الرسالية، لذلك؛ لا يصح أي خبر، أو حديث في نزول عيسى في آخر الزمن، والآيات القرآنية التي يستدلون بظاهرها لإثبات فكرتهم؛ لا علاقة لها بالموضوع أبداً؛ وإنما يتم صرف معناها، وتحميل النص ما لا يحتمل. وما ينطبق على النبي عيسى، ينطبق على مفهوم الإمام المهدي، فما يستدل به أصحاب فكرة الإمام المعصوم، يدحضه أصحاب فكرة الإمام المهدي المسيح، والعكس أيضاً، وهذا لأن كِلا المفهومين غير صواب. والغريب أن من يُثبت إمكانية وجود الإمام المهدي المسيح؛ يعتمد على مسألة نزول عيسى في الموروث الإسلامي، وبعد استخدامها لإثبات بعث الإمام المهدي المسيح، يقومون بإثبات موت عيسى، وأنه لن ينزل في آخر الزمن.

والمقصود بهذه الأخبار هو الإمام المسيح الذي يخصهم، وذلك بقولهم : إن الذي سوف يُبعث ليس هو عيسى بشخصه، وإنما المقصود مثيله بالصفات؛ من حيث قيامه بعملية المسح للأرض، وإزالة الكفر، ونشر الإسلام !، ويقولون بنبوته دون رسالته، ويعدّونه تابعاً للرسول محمد ρ مثل تابعية النبي هارون لأخيه الرسول موسى υ[1].

ولا أدري ما فائدة هذا النبي مع تمام وكمال، وحفظ الرسالة !، فإن كان لدراستها، وتعليمها للناس، فهذا يحصل من خلال العلماء(النبيون) على كافة الاختصاصات، وما رأي هذا النبي المسيح؛ إلا رأياً خاصاً به، يخطئ ويصيب، والمعيار هو **القرآن**

(1) انظر عقيدة الجماعة الأحمدية .

والعلم والمنفعة للناس، وإن كان لتجديد ما انقرض أو تحرف من الرسالة، فهذا أيضاً غير موجود لتمام، وكمال، وحفظ الرسالة، كما تعهد الله بذلك،{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثاً } (النساء87) ، فلماذا نسميه نبياً أو مسيحاً ؟ وكيف نجعل الإيمان بنبوته ركن من أركان الإيمان رغم أن الله لم يطالبنا بالإيمان بالنبيين التابعين، وإنما طالبنا بالإيمان بالنبيّين القادة[1]، انظر إلى قوله تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (البقرة 285). وقال : { فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (آل عمران 179)

والرسل النبيّون القادة هم أصحاب الكتب، فيجب الإيمان بهم، واحترام أتباعهم، والتعايش معهم، أما النبيّون التابعون؛ فليس المطلوب الإيمان بهم، وذلك لعدم وجود رسالة عندهم، ونفي الإيمان بمعنى نفي الإتباع، وهذا شيء طبيعي لانتفاء وجود الرسالة، وانتفاء وجودهم الشخصي على قيد الحياة، ولكن نصدق بوجودهم لأن الله أخبر بقصصهم. فينبغي التفريق بالدلالة بين **مفهوم الإيمان الذي يدل على التصديق والإتباع معاً، ومفهوم التصديق الذي يدل على مجرد القناعة والإقرار بصواب أمر،** فالسؤال الذي يفرض ذاته هو: هل من يدَّعي النبوة الإلهية يعتقد بوجود رسالة خاصة له !؟ فإن كان الجواب بالإيجاب؛ فقد كفى الله المؤمنين القتال، لأن الرسالة كاملة على ما هي عليه، وبالتالي؛ أي رسالة أخرى بعدها هي كذب وافتراء على الله ،

---

(1) كلمة الأنبياء جمع لمفردة نبيء،التي تدل على صفة مشبهة باسم الفاعل وهي لازمة، أما كلمة النبيّين فجمع لكلمة نبي، وهي اسم فاعل تفيد التعدي.

وصاحبها كذاب مُدَّعي للنبوة والرسالة. وإن كان مُدَّعي النبوة يقول : أنا نبي من الله تابع للرسول محمد ρ، ولم ينزل عَلَيّ أي رسالة أبداً، يكون قد نفى عن نفسه صفة الإيمان به؛ لأنه ليس رسولاً نبياً قائداً، وانتقل إلى مسألة التصديق، أو التكذيب بنبوته الإلهية، وسواء أكان يمكن أن يكون نبياً، أم لا، فالأمر لا يُقدم ولا يُؤخر، لأن المفهوم قد تفرغ من محتواه، وصار اسماً، وشكلاً دون مضمون، لعدم وجوب الإيمان به لانتفاء نزول رسالة عليه تكون محل الإتباع، ومثل ذلك كمثل مَن يُطالب بالإيمان بالرسول النبي هارون!؛ فكيف نصدق ونتبع النبي هارون؟ المطلوب هو التصديق، وليس الإتباع له. فدعوى وجوب الإيمان بإمامة ونبوة المسيح المهدي دعوى باطلة، فما بالك إذا كان ادعاء النبوة الإلهية له باطلة أصلاً، وغير ممكنة لتناقضها مع صفة الخاتمَية، والخاتِمية للرسول النبي محمدρ الذي لا يحتاج إلى وزير نبي معه أو بعده، أما إن قصد مقام النبوة أو النبوءة لساناً فهذا ليس حصراً بواحد وهو مقام مفتوح لكل الناس إلى يوم الدين، وهذان(النبي والنبيء) ليسا من عند الله، وإنما هما مقامان اكتسابيان متاحان لأي أحد، ويتم التعامل معهما وفق (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) و(إنما الطاعة بالمعروف) و(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ولكل مجتمع نبيين أو نبيئين – لساناً- وليسا هما من عند الله [1] ولايتكلمون باسمه.

ويوجد مسألة هامة أيضاً **متعلقة بِنَسَب من يمكن أن يصطفيه الله لمقام النبوة الإلهية، وهي أن يكون من ذرية نوح وإبراهيم، أو من ذرية أحدهما ضرورة .**

قال تعالى :

---

(1) راجع كتابي" تحرير العقل من النقل" بحث "مفهوم النبي والنبيء"

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ } (الحديد 26).

أما ذكر كلمة النبيين في سياق الإيمان، نحو قوله تعالى : { وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } (البقرة 177)، فهذا المقصود به مفهوم النبيين عموماً من الله اصطفاء ، ومَن وصل إلى مقام النبوة من الناس اكتساباً، لأن الإيمان موجه إلى الرسالة، وليس إلى شخص النبي، فالإيمان المطلوب هو التصديق و الإتباع لما نزل على النبي من أوامر وأحكام، فإن لم ينزل على النبي شيء، فكيف نؤمن به تصديقاً وإتباعاً؟ وإن نزل عليه وحي تكليفي متعلق بسلوك الناس صار رسولاً نبياً!. وقد يقول قائل : كيف طلب الله الإيمان بالنبيين من الأقوام السابقة، ولم ينزل عليهم رسالة، وإنما كانوا تابعين للرسول النبي السابق !؟ والجواب عن هذا؛ هو أن الرسالة لم تكتمل بعد، والمجتمعات الإنسانية لم تصل إلى بداية سن الرشد، فكان لابد من بعث النبيين للأخذ بيد الناس، وقيادتهم للوصول إلى بداية سن الرشد و النضج، أما بعد أن اكتملت الرسالة نزولاً – وهذا الحدث مؤشر على أن المجتمع الإنساني قد وصل إلى بدء سن الرشد– انتفت الحاجة والضرورة من استمرار الوصاية الإلهية عن طريق النبيين، **فتم عملية ختم النبوة من الله بالنبي محمد ρ بنوعيها القيادية والتابعية، وختم النبوءة عن الله به أيضاً،** ومن العدل أن لا يحاسب الله الإنسان على شيء لم يطلبه منه، أو لم يبينه في كتابه، وما ينبغي أن يُبنى هذا المفهوم على الظن والاجتهاد أبداً، فالأحاديث المنسوبة إلى النبي لا تصلح أن تكون برهاناً، وذلك لأمرين :

الأول: ظنية ثبوتها، والاختلاف في صوابها، ودلالتها .

الثاني: نفي عنها صفة الوحي، والحفظ الإلهي.

وخاصة أن الكتاب الإلهي قد اكتمل نزولاً، وجُعل النبي محمداً خاتِماً لما سبق من النبيين والنبيئين، فصارت العلاقة بين صفة الكمال للدين ، والختم للنبيين والنبيئين جدلية، الكمال يقتضي الختم، والختم يلزم الكمال.

وعملية استمرار بعث النبيين من الله مرتبطة بمفهوم كمال الرسالة، و وصول المجتمعات الإنسانية إلى بداية سن الرشد، فمن ثبت عنده ذلك، يقتضي انتفاء بعث النبيين ضرورة، ومن يعتقد بعدم كمال الرسالة، وانتفاء وصول الإنسانية إلى بداية سن الرشد، يقتضي ذلك استمرار بعث النبيين ، **أما الاعتقاد بكمال الرسالة،وإتمام النعمة، و رضى الرب، ووصول الناس إلى سن بداية الرشد ، ومع ذلك يعتقد بإمكانية استمرار بعث النبيين من الله ، فهذا تناقض واضح وغير منطقي!**،لأن الأمر يصير مثل بلوغ اليتامى بداية سن الرشد، والنضج، واكتمال التعاليم لهم، وقدرتهم على التعامل معها مباشرة، ومع ذلك مستمرة عليهم صفة الوصاية !، لا يجتمعان أبداً، ولا تقبله المجتمعات الإنسانية، ولا يصح تسمية ذلك رحمة، أو احتراماً، أو محبة !، إنها الهيمنة والاستبداد، والحجر على العقول، واغتيال حق الآخر في عملية الإبداع، ونفي الاجتهاد والاختيار، وتعطيل وظيفة مقام الخلافة للإنسان.

واستمرار فعل الإيمان بالنبيين بعد النبي محمد موجه إلى النبيين الاكتسابيين أي الأئمة والعلماء والقادة والدعاة إلى الله بشرط نفي عنهم مقام النبوة الإلهي، وبالتالي لايحق لهم التكلم باسم الله.

تعليق الأستاذ هاني طاهر من جماعة الأحمدية
على مقال: الخاتمية (1)

واضح أن الكاتب يرفض أي حديث نبوي، ولا يفرق بين الصحيح والضعيف. ولا يأبه بالحديث عارض القرآن أم لم يعارضه.،. جاء بطريق واحد أم بعشرة طرق. بل يرى أنه ليس للنبي ρ أن يفسر آيات القرآن، ولا أن يوضح المجمل فيها، بل أظن أنه لا يأخذ بالسنة التي وضح فيها النبي ρ بأفعاله شعائر الحج وكيفية الصلوات.

إن رفض أحاديث نزول المسيح كلها، يتضمن رفْض أحاديث علامات الساعة، كالدجال، ويأجوج ومأجوج الذي ذُكر في القرآن أيضاً. وهذه الأحاديث وردت عن عشرات الصحابة بعشرات الطرق، ورفضُها كلّها، يعني إلغاء السنة كلها، لأنه لا أظن أن أي حديث بلغ من التواتر ما بلغت هذه الأحاديث بمجموعها.

وهذا الرفض لابد له من تفسير عقلي، فما معنى أن يتفق عدد كبير من الصحابة على نسبة هذه الروايات إلى رسول الله ρ ؟ إن هذا لا يعني سوى أن الرسول قد قال ذلك، إنه يعني أنه قد تحدث عن نزول المسيح، وعن خروج الدجال، وعن يأجوج ومأجوج الموصوفين أنه إذا فتحت يأجوج ومأجوج فهم من كل حدب ينسلون.

إن النبوءات قضية معروفة في حياة الأنبياء، والقرآن فيه من النبوءات الكثير:

كما في الآيات الكريمة التالية:

{فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ } (الروم3)

{وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ } (التكوير4)
{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } (التكوير10)
{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً } (الفتح1)
{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (الجمعة3)

والتوراة مليئة بمثل هذه النبوءات، بل في العهد الجديد يوجد سفر كامل باسم رؤيا يوحنا اللاهوتي.

لذا؛ فإن رفض الأحاديث هذه كلها، يتضمن تكذيب النبي، لأنه لا بد أنه قد قالها، وإن كان بشكل قد لا يتفق تماماً مع المروي، لكنه يتفق إجمالاً معه بلا ريب.

ولو أردت مناقشة الأخ نقاشاً مبنياً على القرآن الكريم وحده لقلت:

رغم أننا **نوافقه في وفاة المسيح**، لكنه تحدث عن آية{وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}،من دون سياقها، بل أسهب في توضيح المعنى اللغوي **للختم الذي قد لا نعارضه في كثير منه،** ولكن المهم هو سياق هذه الآية الذي أغفله كليّا؛ فالآية جاءت تنفي أن يكون الرسول أبا أحدٍ من الناس، وخوفاً من أن يُفهم من هذا أنه أبتر، كما وصفه أحد عتاة الكفر، جاءت (لكن) الاستدراكية لتستدرك وتقول: إنه والدنا الروحي، بل أبو الأنبياء، والذي يختم على صدقهم، أي يصدق رسالاتهم. فإن كانوا سابقين، فهو قد أمر بتصديقهم، وأثبت صدقهم، وخصوصا المسيح ابن مريم، وإن كانوا لاحقين، فلا يمكن إلا أن يكونوا خدّاماً لرسالته، لا خارجين عليها، ولا ناسخين لأي حكم فيها. ولكن الأخ أغفل هذا كله.

لم يرد في القرآن الكريم أي دليل على انقطاع النبوَّة التابعة قط، أمّا قوله تعالى: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، فهو دليل على انقطاع النبوَّة التشريعية. وكذلك آية: {الْيَوْمَ **أَكْمَلْتُ** لَكُمْ دِينَكُمْ}.

وهنالك العديد من الآيات التي تؤكد استمرار النبوَّة، التي لا بد أن تكون نبوة تابعة؛ لا تشريع فيها بعد **أن ثبت انقطاع النبوة التشريعية**، ومن هذه الأدلَّة:

الدليل الأول: قوله تعالى{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (سورة الأعراف: 36)

الخطاب موجه إلى بني آدم جميعهم، ولا يستطيع أحدٌ أنْ يُخْرج من هذا العموم مَن وُلِدَ بعد محمد ρ إلا بدليل، وحيث ثبت أنَّ قوله تعالى: {وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}ليس دليلاً على انقطاع النبوَّة التابعة، وليس هناك أي دليل آخر، قلنا بعدم وجود مُخصص لعموم الخطاب في هذه الآية.

والخطاب في هذه الآية جاء بصيغة المضارع، التي تفيد الاستقبال، أي أنَّ الخطاب لبني آدم في المستقبل، والآية تطلب من هؤلاء أنْ يؤمنوا بالمرسَل إليهم منهم. ولو فرضنا أنْ لا أحد سيأتي في هذه الأمة مبعوثًا من عند الله؛ لما كان لهذه الآية أية فائدة، وحاشا لله من ذلك. ولا بد من التنويه بأنَّ الآية التي سبقت هذه الآية بأربع آيات فحسب خاطبت بني آدم كلهم{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (سورة الأعراف: 32) ، كما خاطبت الآية التي سبقت هذه الآية بثماني آيات من السورة نفسها بني آدم{يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ} (سورة الأعراف: 28). ولا يعقل أنْ يكون الخطاب في القرآن بـ(يا بني آدم) مختصًّا ببني آدم الذين ماتوا، مستثنيًا منهم الذين سيولدون !.

الدليل الثاني: قوله تعالى{وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } (الأحزاب: 8)

والسؤال المطروح هنا : ما هو ذلك الميثاق الذي أُخذ من النبيين ، ومن محمد ρ ؟

نجد الإجابة عن هذا السؤال في آية أخرى. اقرأ قوله تعالى{وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ } (سورة آل عمران: 82)

يتضح من هذه الآية أنَّ الله تعالى قد أخذ الميثاق من كل نبي، أنْ يؤمن بأي رسول يأتي مصدقًا لما معه، وأنْ ينصره، ويشمل الخطابُ أمَّةَ أيِّ رسول.

لقد وردت آيات واضحة في التوراة تشير إلى سيدنا محمد ρ، كما في الإنجيل، بَيد أنَّ اليهود لم يقتنعوا بانطباقها عليه.

كما وردت أحاديث نبوية شريفة واضحة تشير إلى صفات المهدي υ، وأَوان بعثته، فجاء مُصدقًا للقرآن والسنة، وانطبقت عليه معايير صدق الأنبياء، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.

الدليل الثالث: قوله تعالى{أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَاماً وَرَحْمَةً } (سورة هود: 18) .

يُستدلُ بهذه الآية على صدق سيدنا محمد ρ بثلاثة أوجه.

أولها: أنَّه على بيِّنة من ربه.

ثانيها: يأتي بعده شاهد من عند الله يشهد على صدقه.

ثالثها: شهادة التوراة السابقة له.

فمن هو هذا الشاهد الذي يتلوه؟ لقد وُصِفَ بأنَّه مِنه ! فما معنى مِنه ؟ أليس من أمَّته؟ وهل كان عيسى ابن مريم من أمة محمد ρ ؟

يجب تدبر الفرق بين أدلَّة صدق سيدنا محمدρ الذي يتلوه شاهد منه، وبين أدلَّة صدق الأنبياء الآخرين. ولنقرأ من السورة ذاتها: قوله تعالى{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّيَ وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ } (هود: 29)، هذه الآية على لسان نوح υ، ويتضح أنَّ دليل صدقه يقتصر على أنَّه على بيِّنة من ربه، وأنَّ الله آتاه منه رحمة، ولم يكن يتلوه شاهد منه.

وهكذا صالح υ . اقرأ قوله تعالى{قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةً مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ } (هود: 64). إنَّها أدلَّة صدق نوح ذاتها، من دون أنْ يرد فيها إنَّه يتلوه شاهد منه.

ولو تتبعنا أدلَّة صدق الأنبياء السابقين لرأينا أنَّ محمدًا ρ يتفوق بدليل إضافي، هو أنَّ مبعوثًا يتلوه يشهد على صدقه مبينًا للعالم نصاعة دينه وقوة حججه، مبطلاً شبهات معارضيه. وهكذا كان المهدي υ الذي أفحم المعارضين بصدق نبينا محمد ρ، وصدق رسالته وصلاحها لكل زمان ومكان، فنهض بجماعته لنصرة الإسلام في أحلك الظروف، حيث الجهل يكتنف العالم الإسلامي، وحيث الاستعمار والمرض الفتاك والأمية والتخلف.

الدليل الرابع: قوله{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (الحج: 76). نكرر ما قلناه من أنَّ صيغة المضارع تدل على الحال، وعلى الاستقبال.

الدليل الخامس: قوله تعالى {مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن

يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (آل عمران 180).
استعمل الفعل المضارع هنا، أيضًا.

الدليل السادس: قوله تعالى {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً } (النساء 70)
تتحدث هذه الآية عن درجات أربع: **درجة الصالح، درجة الشهيد، درجة الصِّدّيق، ودرجة النبي**. وهي تَعِدُ من يُطِعِ الله والرسول بنوال درجة من هذه الدرجات حسب طاعته، فقد يكون صالحًا، وقد يكون شهيدًا، وقد يكون صدّيقًا، وقد يكون نبيًّا. ولسنا بحاجة إلى **تأكيد في كل مرة أنَّ درجة النبوَّة التشريعية غير ممكنة؛ حيث ثبت انقطاعها بأدلَّة لا تقبل النقاش.**

وقد فهم البعض من الحرف (مع) أنَّ من أطاع الله ورسوله فلن يكون من الصالحين أو الشهداء أو الصديقين أو الأنبياء، بل سيكون مرافقًا لهم في الجنة، من دون أنْ يكون واحدًا منهم، أي كأنَّه ضيف عليهم.
لكن كلمة (مع) هنا تعني (مِن). وقد وردت هذه الكلمة في مواقع أخرى من القرآن الكريم بهذا المعنى، كما في قوله { وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ } (آل عمران 194).
وهناك من يقول: إنَّها تعني (من) للدرجات الثلاث الأولى، أمّا درجة النبيين فيعود معنى (مع) فيها إلى أصلها وهو المرافقة والمصاحبة.
ويُجاب هؤلاء بأنَّ هذا تَحَكُّم في النص. ولا دليل على هذا الكلام بعد أنْ ثبت من خلال سرد الشبهات حول انقطاع النبوَّة التابعة، ودحضها.
ونكتفي بهذه الأدلّة من القرآن الكريم رغم وجود غيرها.

الإيمان بالأنبياء أم بالرسل:

قال الأخ سامر: (إن الله لم يطالبنا بالإيمان بالأنبياء، وإنما طالبنا بالإيمان بالرسل).

مع أن كل نبي رسول، وكل رسول نبي، لكن النبوة والرسالة نوعان. ومن أدلة وجوب الإيمان بالأنبياء، قوله تعالى:

{وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } (البقرة 177)

{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ } (البقرة 213)

{قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (آل عمران 84)

أما استدلال الأخ سامر على عدم بعث الإمام المهدي، ولا المسيح، ولا أي مبعوث من عند الله بعد سيدنا محمد ρ ، وإنكاره هذه الروايات الكثيرة العدد، مُحتجاً باكتمال الرسالة، وبوصول المجتمعات الإنسانية سن الرشد، ومن ثمّ فلا داعي لبعث الأنبياء.. فهو قول لا دليل عليه، بل هو مجرد استنتاج عقلي محض، ولا يصلح في هذه المسائل سوى الدليل النقلي، لأن الله تعالى وحده مَن يعلم متى تصل البشرية إلى سن الرشد هذا الذي يُغنيها عن أي هداية من الله.

لو تحدث الأخ سامر عن اكتمال الشريعة، وانقطاع التشريع الرباني لوافقناه تماما.. لأن لدينا أدلة قرآنية على ذلك، أما أن يستنتج من اكتمال الشريعة وجوب انقطاع أي هدي من الله فهذا لا نوافقه فيه، ولا نرى عليه دليلاً.. بل لدينا أدلة تنقضه، وهي أدلة استمرار الوحي.

أما أنّ هذا الوحي خاص بصاحبه، فهذا أيضا لا دليل عليه، فأين الدليل الذي يمنع نزول وحي على إنسان يؤمر بتبليغه ؟

وأما وصف الوحي غير التشريعي بـ (الهيمنة والاستبداد ، والحجر على العقول ، واغتيال حق الآخر في عملية الإبداع، ونفي الاجتهاد والاختيار ، وتعطيل وظيفة مقام الخلافة للإنسان) فلا أراه معقولاً البتة. إن الإلهام الذي ينزله الله تعالى على عباده هو أعظم نعمة، وهو ليس حجراً على عقولهم، ولا اغتيال حقهم في الإبداع، بل هو إرشاد وتوجيه، وتنوير وهدي، وطمأنينة ويقين.

رد إسلامبولي على تعليق الأخ هاني طاهر (2)

السلام عليكم

الأخ الأستاذ هاني طاهر المحترم مبارك عليك رمضان، وعلى المسلمين .

لقد قرأتُ بوعي ردك على مقالي (الخاتمية)، فلاحظت أنك تجاوزت نقاش النص المركزي في موضوعنا، وأخذت تَعرض أدلة على إمكانية استمرار بعث الأنبياء من الله، وذلك بسرد نصوص **لا تدل بصورة قطعية على فكرتك، وبالتالي لا يمكن أن تَحسم النقاش فيها** ، وقياسك الأمة الإسلامية على من سبق من الأمم قياس غير صواب، وذلك للفروق بينهم، التي منها :

1- خصوصية دعوة الأنبياء والرسل لأقوامهم ، بينما رسالة النبي محمد عالمية وإنسانية .

2-لم يتم إكمال الدين في بعث الأنبياء السابقين، بينما تم الإكمال للدين نزولاً في بعث النبي محمدp.

3- لم تتم النعمة على مَن سبق من الأقوام بينما تمت النعمة علينا.

4- ولنفي عملية الإكمال للدين في بعث الأنبياء سابقاً، ونفي إتمام النعمة، ولم يحصل رضى الرب بعد ، لم يصرح الله Y بصفة الخاتمية لهم، بينما عندما أكمل دينه ببعث النبي محمد، وأتم نعمته، ورضي الإسلام ديناً ، صرح بصفة الإكمال للدين ، ولشخص النبي بالخاتمية.

والأَولى أن تُناقش مفهوم الخاتمية فقط المبنية على **إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب**،، فإن استطعت أن تَنفي تَضمن دلالته على (الآخر) إضافة للدلالات الأخرى التي ذكرتها في مقالي، مثل المصداقية، والكمال، والاستمرار، تكون قد أنهيت النقاش ، وأثبت فكرتك ، وإن لم تستطع ذلك ، تكون فكرتك واهية.

وسأناقش مثلين مما تم عرضه[1]، وهما:

1- {يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (سورة الأعراف: 36)

تقول حضرتك:(والخطاب في هذه الآية جاء بصيغة المضارع، التي تفيد الاستقبال، أي أنَّ الخطاب لبني آدم في المستقبل، والآية تطلب من هؤلاء أنْ يؤمنوا بالمرسَل إليهم منهم. ولو فرضنا أنْ لا أحد سيأتي في هذه الأمة مبعوثاً من عند الله؛ لما كان لهذه الآية أية فائدة، وحاشا لله من ذلك).

(1) لقد تم إضافة هذا المثل بعد انتهاء الحوار للفائدة.

– إن خطاب (يا بني آدم) شامل كل الناس إلى يوم القيامة كما ذكرت حضرتك ، وهذا لا خلاف فيه، وكلمة (يأتينَّكم) فعل مضارع تفيد الاستمرار والمستقبل ، فأيضاً صواب لا غبار عليه، ولكن من أين أتيت بكلمة (مبعوثاً) في النص؟ والنص ذَكر كلمة (يأتينَّكم)! ودلالتها غير دلالة كلمة (بعث)، وكذلك النص ذكر كلمة (رُسل) ولم يذكر كلمة (نَبيّين)، ويوجد فرق بين دلالة الكلمتين كما ذَكرتُ سابقاً من حيث أن كل نبي رسول ضرورة ، والعكس غير صواب، **والنبوة الإلهية مختومة بنوعيها ببعث النبي محمد،** بينما مقام الرسول مستمر إلى يوم الدين ضرورة لإقامة الحجة على الناس، لذلك أتى في النص كلمة (منكم) ولم تأت كلمة (منّي)! مع غياب كلمة (بعث أو أرسل) المتعلقة بالنبيين، وإدخال النبيين في دلالة كلمة الرسل بحاجة إلى قرينة، والإيمان مطلوب بكل الرسل(العلماء والدعاة والقادة الراشدون) وهذا يقتضي حياتهم لأن من المعلوم أن الطاعة متعلقة بحياة الآمر، ولا تكون الطاعة للأموات، وبالتالي يجب تصديقهم وإتباعهم فيما يأمرون من الحق والصواب وما ينفع الناس، وبالتالي ثبت أن النص له فائدة مستمرة، ولا علاقة له بمفهوم استمرار النبوة

قط، وعلى أقل احتمال إن الدلالة لهذا المفهوم ظنية في النص، وإذا طَرأ الاحتمال بَطُل الاستدلال.

2- {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً }النساء69

فكلمة الرسول[1] يقصد بها حامل الرسالة، والرسالة كما هو معروف في اللسان العربي والاستخدام القرءاني، وهؤلاء الناس المطيعون يخبرهم الله أنهم مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ، وهذا يلزم وجود هذه المقامات بشكل دائم لا تنقطع من الوجود، وهذا دليل على أن دلالة كلمة (النبيين) في النص ليست هي المضافة لله ، وهذا يدل على عمومها ويقصد بها المبعوثين من الله ، والقادة العلماء الصالحون والدعاة إلى الحق والخير والنهضة بالعباد والبلاد .

والأمر بالإيمان بالنبيين عام يشمل النبيين الذين بعثهم الله ، والنبيين الذين وصلوا إلى هذا المقام بعلمهم وصلاحهم ،انظر قوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...}البقرة177، وهذا البر مستمر إلى يوم الدين ، ومطلوب من الناس أن يؤمنوا بهم، وبما أن الله ختم النبوة الإلهية المتعلقة ببعثه، وختم النبوءة أيضاً من عنده، فبقي النبيّون والنبيئون من الناس (القادة الراشدون العالمون الصالحون الدعاة إلى الله) و (المتنبئون بالعلم والدراسة) ولكل مجتمع نبيين وأنبياء بالمعنى اللساني، وليس هم من الله، ويجب الإيمان بهم؛ بمعنى إتباعهم وطاعتهم فيما يأمرون من الخير والمعروف ونهضة العباد والبلاد وفق لا طاعة لأحد في معصية الخالق ، وإنما الطاعة بالمعروف، وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

---

(1) راجع كتابي" تحرير العقل من النقل" بحث" مفهوم الرسول والرسالة في القرءان"

أستاذ هاني

إن الشعر، وتراث العرب، وغير ذلك، ليس أدلة أو براهيناً لإثبات مفهوم أو دلالة كلمة، وذلك لعدة اعتبارات:

1-لم يتعهد الله بحفظ الشعر، وتراث العرب من أن يصيبه التحريف أو الضياع.

2-إن استخدام الإنسان للألفاظ أيّ كان مستواه في اللسان العربي بلاغة أو فصاحة، لا يخلو من عجمة، وذلك لاتصافه بالمحدودية والقصور، فيستحيل أن يكون خطابه مطابقاً لمحله من الخطاب، ويصلح التعامل معه في كل زمان ومكان، لذا؛ لا يصح الاعتماد عليه، أو جعله برهاناً لدلالة كلمة معينة .

3-إن التراث كونه نتيجة تفاعل الإنسان المحدود في صفاته ، وحصول عملية التحريف فيه زيادة أو نقصاناً، بسبب الصراع السياسي، أو لنصرة الأفكار، نجد أنه قد احتوى الفكرة ونقيضها، فكل صاحب فكرة يستطيع أن يُدلل عليها من التراث .

انظر إلى الأحاديث التي تنفي وجود بعث أي نبي بعد محمد ρ ؟ وأشهرها (لا نبي بعدي) وإن حكمتَ عليها بالضعف، أو الوضع؛ فهذا لا ينفي صحتها عند الآخرين، ونهاية القول؛ يكون كلامك مقابل كلامهم، و لا يستطيع أي منكما أن يُقيم الحجة على الآخر، **وليس لكما إلا الرجوع إلى القرآن فقط** .

وبالنسبة لمفهوم (الخاتمية) أيضاً يكون فهمك مقابل فهمهم، انظر للأحاديث التي استخدمت كلمة (ختم) كيف أتت تتضمن مفهوم الآخر ضرورة نحو (من قرأ خواتم سورة الكهف كفاه الله فتنة الدجال) .

إن النص القرآني هو الوحيد الذي يُمثل أصالة اللسان العربي، وهو الوحيد الذي لا يوجد في صياغته عجمة، لذا؛ ينبغي حصر الاستدلال فيه من خلال دراسة استخدام الكلمة في النص كله، وفهم دلالتها من خلال إسقاطها على محلها من الخطاب، لارتباط النص بالواقع .

أما بالنسبة لمفهوم السنة، والحديث، والفرق بينهما، أُحيلك إلى مقالاتي المنشورة في موقع أهل القرآن، وهي: (السنة غير الحديث)، و(القرآن من الهجر إلى التفعيل)، و(ضبط مفاهيم متعلقة بالصلاة)، و لك أن تطلع على المقالات المتعلقة بدراسة اللسان العربي .

أما ما يتعلق بموضوع الأحاديث التي ذكرت المسيح أو المهدي ، فهي لا تصلح أن تكون برهاناً لإثبات مسألة على هذه الأهمية والعظمة ، فالأصل أن تَثبت هذه المسائل في النص القرآني ، غير أن هذه الأحاديث مُنتفي عنها صفة التواتر ، والتواتر ينبغي أن يكون ابتداء في المجتمع الأول الذي زامن الحدث، والتواتر لا يوجد له سند معروف، فإن وُجد له سند فهذا برهان على نفي التواتر عن الخبر، وكذلك لا يصح أن يأتي باحث في زمن لاحق يقول: اكتشفت أن هذه الأحاديث متواترة!، فهذا برهان على نفي التواتر عنها أصلاً، لأن التواتر للخبر يتواتر في المجتمعات المعنية به دون توقف أو انقطاع، وبالتالي من الخطأ استخدام هذه الأحاديث براهيناً أو أدلة، وينبغي حصر النقاش في النص القرآني فقط. راجع بحث (التواتر أداة معرفية ، لا أداة علمية).

وإلى تواصل آخر، إن شاء الله.

وكل عام وأنتم بألف خير .

وتقبل تحياتي العربية.

تتمة تعليق الأستاذ هاني طاهر من جماعة الأحمدية

على مقال(الخاتمية)(3)

خاتم لغة وسياقاً

مع أنَّ كلمة **خاتَم تحتمل معنى (آخِر)**، فإنَّها هنا لا تحتمل هذا المعنى إطلاقًا؛ لسببين:

أولهما: سياق الآيات؛ فالآية تتحدث عن أنَّ نبي الله لم يكن أبًا لأحد، وهذا المعنى لو أُخِذَ على ظاهره لكان إساءة إليه، وتصديقًا لذلك الكافر الذي وصف رسول الله ρ بالأبتر. لكن الله تعالى سمَّى ذلك الكافر بالأبتر{إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ } (الكوثر: 3)، مع أنَّ له بنين، وليس لرسولنا الكريم أي ولد ذكر. لذا؛ يجب ألاّ يُفهمَ من هذه الآية أنَّها تصف رسولنا بأنَّه مقطوع النسل ليس له ولد. بَيد أنَّ هذه هي الحقيقة من ناحية مادية جسمية، لذا؛ تُوبع نص الآية مع (ولكن)، وهي حرف استدراك، يكون ما بعده من جنس ما قبله، لكنه بخلافه، كأن نقول: هذا ليس حصانًا، لكنه حمار، فكلاهما من جنس الحيوان. ولكننا لا نستطيع أنْ نقول: هذا

ليس حصانًا، لكنه شاي، فالحصان والشاي لا يجمعهما شيء، وليسا من جنس واحد.

لنعد إلى تكملة الآية: { وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ} ولنقارن بين ما جاء قبل (لكن)، وما جاء بعدها: أتى قبلها: {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ}

بعدها: {رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}

قلنا: لابد أنْ يكون ما قبلها من جنس ما بعدها، غير أنَّه يخالفه؛ لذا؛ علينا أنْ نتساءل: ما العلاقة بين كون نبينا ليس أباً لأحد، وكونه رسولَ الله، وخاتَم النبيين؟

إنْ قلنا: إنَّ معنى خاتَم النبيين آخرُهم مبعثًا، فما هي العلاقة بين عدم كونه أبا أحدٍ من المسلمين، وكونه آخر النبيين ؟ إنَّه لا علاقة ألبتة. وهو كقولنا: أنا لا أحب القهوة، ولكن أحب دراسة التاريخ، فهذا كلام لا يستقيم بحال، فكيف بكلام رب العالمين ؟

لذا؛ لا يمكن أنْ يكون معنى خاتَم النبيين آخرهم مَبْعثًا من خلال هذه الآية. والذي يأخذ بهذا المعنى يكون قد حمّل الآية ما لا تحتمل.

أمّا المعنى الذي يستقيم، فهو: (صحيح أنَّ محمدًا ρ ليس له ولد من ناحية جسمِّية مادية، لكنه والدكم جميعًا من ناحية روحانية، وليس هذا فحسب، بل هو أب روحاني للنبيين، كونه أفضلهم وزينتهم). فالآية لا تتحدث عن انتهاء النبوَّة لا من قريب ولا من بعيد.

لـذا؛ وجـب علـى كـل مسـلم أنْ يـؤمن بأنَّ محمـدًا ρ خـاتَم النبيـين، بمعـنى أفضلـهم، وزينتـهم. ويتضمن هذا أنَّه آخر نبي تشريعي، لأنّنا لو فرضنا أنَّ نبيًّا سينسخ شريعته، لكان أفضل منه، وهذا يُعارض الآية.

ثانيهما: كون كلمة خاتَم مُضافة إلى الجمع على سبيل المدح، فهي في هذه الحالة لا تعني إلا الأفضل.

وهنـاك عشـرات الأمثلـة علـى ذلـك، ولا يجـد المخـالف مثـالاً مناقضـاً، ولـن يجـد. والباب مفتوح على مصراعيه أمام من شاء البحث في بطون الكتب ليتيقن مما نقول.

ومن هذه الأمثلة: ما يمكن أنْ نقرأه في مدح العلماء، حيث يوجد مثل هذا المديح في التقـديم لكتبـهم، فقـد قـالوا: محمـد عبـده خاتَمـة الأئمـة، الآلوسـي خاتَمـة المحققـين، الشـاه عبد العزيز خاتَم المحدثين والمفسرين، علي خاتَم الأولياء، أحمد السنوسي خاتَمة المجاهدين، المتنبي خاتَم الشعراء، وغير ذلك الكثير؛ الكثير من الأمثلة. فهل فهم أحد أنَّ (محمـد عبـده) آخـر الأئمـة، أو أنَّ الآلوسـي آخـر المحققـين، أو أنَّ المتنـبي آخـر الشعراء؟

أما القول: إنّ هذه الاستخدامات ليست بحجة، فنقول: إنها تظل أقوى من قول المخالف الذي ليس لديه أي مثال على هذا المعنى الذي يذهب إليه.

وأكرر؛ أن المعنى السياقي له دور أبرز في تحديد معنى اللفظة من المعنى القاموسي.

إنّ لفظ (خاتم) له ثلاثة معانٍ، منها **الإغلاق والإنهاء**، لكن هذا المعنى لا يستقيم في هذا السياق الذي تحدثنا عنه. وبهذا نُنهي فكرة أن الآية الكريمة تمنع إرسال أي نبي بعد سيدنا محمد ρ ، لكننا نؤمن أنها تمنع ضمنياً بعث أي نبي بشريعة جديدة بعد سيدنا محمد ρ ، وكذلك آية إكمال الدين تمنع.

حديث (لا نبي بعدي):

قال الأخ سامر إنني ضعّفت هذا الحديث. وقوله ليس بصحيح، فالحديث صحيح، لكننا نفسّر البَعدية هنا بالبعدية المتصلة، أي (لا نبي أثناء غيبتي)، كما كان هارون نبياً أثناء غياب موسى υ ، فالنص لا يفيد إلا أن علياً ليس بنبي. ونقول للقائلين بنزول المسيح من السماء المستدلين بهذا الحديث على انقطاع النبوة كلها: إنكم متناقضون.

وسلامي لك   هاني طاهر 30-9-2007

رد إسلامبولي على هاني طاهر (4)

تحية طيبة وبعد

ابتداء؛ ينبغي الاتفاق على دلالة كلمة (خاتم)، وأنها أوسع من كلمة (آخر)، وتتضمنها، فكلمة (آخر) لا تدل على كلمة (خاتم)، بخلاف **كلمة (خاتم)، فإنها تتضمن دلالة الآخر، إضافة إلى الدلالات الأخرى، التي هي الإكمال، والإنهاء، والحفظ، والتصديق، والتواصل والاستمرار، وما شابه ذلك من دلالات التي تنتهي ضرورة بدلالة الآخر**، وليس من دلالة كلمة خاتَم في واقع الحال، الأفضل، أو الأعظم، أو الزينة، من الناحية اللسانية قط، وإنما ظهر معنى الزينة أو الأفضل من تعلق الختم بسياق العقلاء مع عدم نفي الدلالة اللسانية لكلمة الختم .

فالنبي محمد ρ هو خاتم النبيين، وذلك يدل على وجود سلسلة من النبيين المتصلين مع بعضهم في المفاهيم، والأفكار، ليشكلوا بناء مُعيناً على أسس واحدة، إلى أن شارف البناء على الانتهاء، فتم بعث النبي محمد، وأكمل هذا البناء، فكان بذلك العمل مُكَمّلاً، ومُنهياً لما تم الابتداء في بنائه سابقاً، فحقق بهذه العملية التواصل مع من سبقه، وحقق التصديق لهم، والتوثيق لما نزل عليهم من الثوابت، وأعطى لهذا العمل صفة الاستمرار، والإنهاء، **والآخرية**، وبما أن صفة (الخاتَم) تعلقت بشخص النبي؛ تناولت مفهوم النبوة أيضاً من حيث الإكمال، والإنهاء، فكان النبي بذلك المفهوم، هو

نهاية، وآخر النبيين بعثاً على عمومها(القائد والتابع)، وصارت كلمة (خاتَم) في النص تدل على مفهومين معاً بوقت واحد، وهما :

الأول : إكمال، وإنهاء بناء الدين .

الثاني : توقيف، وإنهاء بعث البُناة (الأنبياء القادة والتابعة) .

وهذان المفهومان لا ينفكان عن بعضهما في دلالة النص، ولا يصح القول بأحدهما دون الآخر، لأن إثبات أحدهما هو إثبات للآخر ضرورة لازمة.

أما فهم دلالة كلمة (خاتَم) وَفق سياق صيغة الاستدراك، فهو التالي:

إن أداة (لكن) هي للاستدراك، والتأكيد على أمر معين، وخلال النص نلاحظ نفي صفة الأبوة عن النبي لأحد من الرجال،{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ} .

ابتداء؛ ينبغي التفريق بين دلالة كلمة (والد)، وكلمة (أب)، فصفة الوالد قد تحققت في النبي محمدρ، ورزقه الله Y أولاداً (ذكوراً وإناثاً)، فكان النبي أباً للإناث، لأنهن كَبُرن في عهدته، وعنايته، ومارس عليهن دور الأب (تربية)، ولكن لم يصر أباً لأولاده الذكور، لأنهم ماتوا وهم صغار، ولم يصلوا إلى مرحلة الرجولة، هذا ما تم نفيه عن النبي في النص صراحة، (أبوة محمد نسباً لأحد من الرجال)، وتضمن النص بمفهومه نفي عملية التبني لأي من الأولاد الذكور، تربية وعناية بالنسبة للنبي محمد، وبذلك انتفى عن النبي صفة الأبوة لأي من الرجال بصورتيها (النسب والتبني)، وأتت أداة (لكن) لتستدرك مفهوماً يحل بدل المفهوم المنفي في الجملة الأولى، وتؤكد على أمرين مهمين { وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}، أحدهما: يرد على من قال

بقطع نسب محمد (أبتر)، وذلك من خلال توجيه المفهوم إلى قيمة استمرار حياة الأولاد الذكور ليصيروا رجالاً، وهي استمرار ذكر اسم الأب، وحصوله على المنعة والقوة من خلال أبنائه الرجال، فأتت كلمة (رسول الله) لتثبت تحقق المقصد ذلك دون وجود أبناء ذكور، وهو استمرار ذكر اسم النبي ورفع شأنه {وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } (الشرح 4)، وحصوله على المنعة، والقوة من خلال المؤمنين بدعوته، **فصار عملياً، أباً روحياً للمؤمنين بدعوته،** وأتت كلمة {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} لتدل على سبب عدم استمرار حياة الأولاد الذكور للنبي، ونفي التبني عنه لأي ولد ذكر، وهو حتى لا يرث أبناؤه (نسباً أو تبنياً) **مقام النبوة** بعده، أو **مقام الخلافة الدينية،** أو **السلطوية،** وبهذا يظهر لنا العلاقة المنطقية بين الجملة المنفية {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ}، وجملة الاستدراك { وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ}.

ومفهوم (الخاتمية) تحقق في حياة النبي (فلم يَبعث الله معه نبياً آخر ، مثل هارون مع موسى)، وبعد وفاته، فلم يتم بعث نبي آخر (لا قائد، ولا تابع له)، ومضى على ذلك أكثر من ألف عام ، وما ينبغي أن نقصر ذلك المفهوم على مرحلة زمنية معينة، فالنص مستمر في دلالته، **ومن الخطأ في الاستدلال أن ننفي نصف المفهوم (نبي قائد) ، ونثبت نصفه الآخر (وجود نبي تابع) !، فإما أن نثبت كليهما ، أو ننفي كليهما ، ولا وجه للتفريق بينهما البتة !** لعموم النص (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) .

وافتراض صواب وجود نبي تابع ، كان ينبغي أن يأتي النص بصيغة **(ولكن نبي الله وخاتم الرسل)** – رغم خطأ الصيغة– ، فتتعلق صفة الختم بمقام الرسالة فقط (النبي القائد)، وبالتالي لا مانع من بعث نبي تابع للنبي القائد، ولكن عندما أتت {خَاتَمَ النَّبِيِّينَ} أنهت وأغلقت مقام النبوة عموماً قيادة وتابعية، أما صفة الإشراف، والتعليم، والدعوة، والتجديد والتحديث، فقد انتقلت إلى الرسل (العلماء والدعاة والقادة الراشدون) من الجنس الإنساني، كونهم وصلوا إلى بدء سن الوعي والرشد،{وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً } (الجن10)، وتحقق ذلك بدور العلماء وتفاعلهم مع القرآن، ومحله من الخطاب بواسطة التفكير والعلم (العلماء ورثة الأنبياء).

أما القول إن كلمة (خاتم) إذا أُضيفت إلى الجمع على سبيل المدح، فهي لا تعني إلا الأفضل والأحسن).

فهذا ليس قاعدة لسانية، أو قرآنية، وإنما أسلوب بشري متساهل في استخدام كلمة (خاتم) في سياق خطاب العاقل في غير محلها من الواقع، **فمَن مِن البشر يستطيع أن يَحكم أنّ زيداً خاتم الشعراء، أو المحققين ، وما شابه ذلك ؟**، فالإنسان عمره محدود، وعلمه ومعرفته أيضاً قاصرين ومرتبطين بواقعه فقط، لا يعلم الغيب !، لذا ؛ إن قام أحد من الناس واستخدم كلمة (خاتم) على فلان من الناس ، نفهم مباشرة أنّ استخدامه للمبالغة والمدح ليس أكثر، لأن الإنسان المحدود مهما أُوتي من بلاغة وعلم، لا يستطيع أن يستخدم الكلمة المناسبة في المقام المناسب بصورة تُغطي كل صور دلالة

هـذه الكلمـة في الواقـع بأبعـاده الزمانيـة الثلاثـة، فالإنسـان لا يخلـو مـن عجمـة في استخدام اللسان العربي، والعمدة في ذلك هو القرآن والواقع، ويتم دراسة دلالة الكلمة من خلال استخدامها في القرآن، ومعرفة دلالة أصل الكلمة فيزيائياً من خلال الواقع، وما المعاجم أو القواميس إلا أدوات مساعدة، وليست برهاناً بحد ذاتها، وكذلك الشعر والنثر وأقوال العلماء، فكلها لا تخلو من عجمة، وقصور في استخدام اللسان العربي.

وافتراض انتفاء وجود أمثلة في التراث على استخدام الكلمة بدلالة معينة، لا ينفي احتمالية وجود ذلك الاستخدام، ولعله لم يصلنا لانتفاء تعهد الله بحفظ التراث، كما أن انتفاء استخدام دلالة كلمة على وجه من الوجوه، لا ينفي صواب استخدامها لاحقاً في المجتمعات الأخرى، وكذلك انتشار وشيوع استخدام كلمة على دلالة معينة، لا يدل على صوابها أو حصرها في هذه الصورة.

فمن المعلوم أن الناس تميل في حديثها إلى التساهل في استخدام الكلمات محل بعضها بعضاً، وتعتمد على فهم المخاطَب، وأحياناً يبالغون في استخدام دلالة كلمات في خطاب المدح أو الذم، **وما استخدام كلمة (خاتم) للمدح إلا من هذا القبيل، ويستحيل أن يستخدمها بدلالتها الحقيقية، التي هي الإكمال لعمل من سبق بصورة متصلة مع التصديق لهم، وتوثيقهم، وإنهاء هذا العمل حيث يكون هو الآخر فعلاً وفاعلاً.**

وهذا لا ينطبق على النص القرآني، فهو منزه عن التساهل في الخطاب، أو المبالغة، أو استخدام كلمة محل أخرى، أو استخدام قاصر لدلالة كلمة .

لذا؛ لا قيمة من الناحية البرهانية لأقوال، أو استخدام الناس لدلالة كلمة (خاتم) بمعنى الأفضل أو الأحسن، أو الزينة، قط، ونحن علمنا بقصور استخدامهم من خلال إسقاط كلامهم على محله من الخطاب، وعرفنا أن الرجل الموصوف (بالخاتم) ليس هو في الحقيقة مُكَمّلاً لعمل من سبق، وليس آخراً لهم، بل؛ وليس أفضل من كل مَن سوف يأتي بعده ، فقلنا: إنَّ قصد المتكلم هو المبالغة في رفع شأن هذا الرجل، ولا يَقصد دلالة كلمة (الخاتم) حقيقة، فهذا استخدام متساهل وقاصر لدلالة الكلمات ، وخاصة أن الإنسان لا يخلو من عجمة في استخدام اللسان العربي .

فمن الخطأ أن نجعل القصور والعجمة قاعدة في دراسة دلالة كلمات اللسان العربي.

إن الأحاديث النبوية التي لا تخلو من صحة في سندها إلى النبي قد استخدم كلمة (خاتم) بمعنى الاكتمال والآخر، انظر إلى قوله : (من قرأ خواتم سورة الكهف عصمه الله من فتنة الدجال) وصفة الختم لهذه الآيات متحقق فيها الإكمال والإنهاء للسورة، وصارت في واقع الحال هي آخرها . راجع مادة الحديث النبوي ، وابحث فيها عن كلمة (خاتم) وانظر إلى دلالتها، فهي أقوى من الشعر، وأسلوب المدح، **مع العلم أنها ليست برهاناً بحد ذاتها** .

إن نص الإكمال{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } برهان على وصول المجتمع الإنساني إلى بدء سن الرشد والوعي، ومقدرته على الاعتماد على نفسه في إدارة شؤون حياته وَفق القرآن والعلم، ولولا ذلك

لما تمت عملية الإكمال للدين، والختم للنبوة، فذلك تمَّ بناء على مُعطيات في الواقع الإنساني، ولولا هذه المعطيات لما حصل الإكمال والختم، **وهذا اقتضى رفع الوصاية الإلهية المباشرة عن الإنسان، وذلك رحمة وتكريم له.**

وتقبل تحياتي العربية

رد هاني طاهر على إسلامبولي

(5)

الأستاذ سامر الإسلامبولي المحترم

السلام عليكم ورحمة الله

يظهر لي من خلال رسالتك أن إحدى رسائلي السابقة لم تصلك، وهذا سببّ شيئاً من سوء التفاهم بيننا. لذا؛ فقد بعثتها لك للتو.

ما ذكرته في رسالتك الأخيرة عن **كلمة الخاتم نقبله كله،** حيث إنه ينطبق على الرسول ρ باعتباره نبياً تشريعياً، أما أن يبعث الله خادماً لهذا النبي فهذا ما لا تنفيه كلمة خاتم هنا.

وأكرر؛ إنّ من معاني (خاتم) آخر، ونحن نوافقك.

لذا؛ فإن قولك: (**فالنبي محمد هو خاتم النبيين، وذلك يدل على وجود سلسلة من النبيين المتصلين مع بعضهم في المفاهيم، والأفكار، ليشكلوا بناء معيناً على**

أسس واحدة، إلى أن شارف البناء على الانتهاء، فتم بعث النبي محمد، وأكمل هذا البناء، فكان بذلك العمل مُكمّلاً، ومُنهياً لما تم الابتداء في بنائه سابقاً، فحقق بهذه العملية التواصل مع من سبقه، وحقق التصديق لهم، والتوثيق لما نزل عليهم من الثوابت). لا غبار عليه.

لذا؛ فإن القول ببعث نبي بشريعة أخرى يتناقض مع هذا القول، وانتظار نبي من السماء ينسخ بعض أحكام الشريعة الإسلامية يتناقض مع قولك هذا أيضاً.

أما ما نتحدث عنه فهو إمام مهدي يُعيد الأمور إلى نصابها، ويؤكد على أهمية شريعة سيدنا محمد ρ، ويكون قد وصل درجة النبوة من ناحية روحانية، وهو ليس بنبي مستقل، بل يمكن تسميته **نبياً ظلياً**.. إنها درجة روحانية تحدثت عنها آية قرآنية بكل وضوح: {وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً } (النساء69)

فما دمت تؤمن بإمكانية وجود صِدّيقين وصالحين وشهداء، فعليك أن تؤمن بإمكانية وجود أُناس يصلون درجة النبوة أيضاً، لكنهم ليسوا بأنبياء مستقلين. أكرر؛ **إنها درجة روحانية، وليس نبوة مستقلة.**

الاستدراك:

بدأتَ في الموضوع بداية جيدة، ولكن حين وصلتَ نقطة الحسم قلتَ بلا دليل: (وأتت كلمة (خاتم النبيين) لتدل على سبب عدم استمرار حياة الأولاد الذكور للنبي، ونفي التبني عنه لأي ولد ذكر، وهو حتى لا يرث أبناؤه (نسباً أو تبنياً) مقام النبوة بعده، أو مقام الخلافة الدينية، أو السلطوية.)

فمن أين أتيت بهذا أخي الكريم ؟ من قال إنَّ ابن النبي لابدّ أن يكون نبياً؟ ألم يكن بعض أبناء الأنبياء كفرة فجرة ؟

ثم لو فرضنا جدلاً أن ابن كل نبي لابد أن يكون نبياً، حينها كان لابد أن تكون الآية بهذا التعبير: (ولكن رسول الله لأنه خاتم النبيين) فهذا هو التعبير الذي يُبين العلّة، وليس العطف.

أما قولك: (ولا وجه للتفريق بينهما البتة !)

فهو غريب، فالفرق بينهما مهول؛ الأول يأتي بدين جديد، ويُلغي الدين السابق، والثاني يأتي خادماً للدين. أبعد هذا الفرق يُقال: لا فرق؟

أما التفريق بين النبي والرسول، فقد رددتُ عليه في المقال السابق الذي وصلك قبل ساعة.

أما وصفك النص القرآني بأنه منزه عن المبالغة، فينقضه قوله تعالى: {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} (يوسف31)،وقوله{ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران 119) وغيرها من الآيات.

أما رفضك الاحتجاج بأقوال اللغويين والشعراء القدامى في استخدام كلمة (خاتم) المضافة إلى جمع العقلاء، فهو بحاجة إلى حجة أقوى مما ذهبتَ إليه؛ فالذين استخدموها بهذا المعنى كُثر، وظل هذا عبر العصور.

أما احتجاجك بالحديث (من قرأ خواتم سورة الكهف عصمه الله من فتنة الدجال) فلا نخالفك فيه، رغم أن الروايات الأقوى سنداً تحدثت عن قراءة فواتح سورة الكهف، وبعضها عن أواخر سورة الكهف، وهذا الحديث قد يكون أضعفها سنداً،

لكن مع هذا فنحن لا نرفض هذا المعنى، فكلمة: خواتيم وخواتم تعني آخر هنا، لأنها لم تُضَف إلى جمع عقلاء، وحديثنا عن (خاتم) المضاف إلى جمع العقلاء فقط.

أما قولك: (راجع مادة الحديث النبوي، وابحث فيها عن كلمة (خاتم) وانظر إلى دلالتها، فهي أقوى من الشعر، وأسلوب المدح، مع العلم أنها ليست برهاناً بحد ذاتها.) فهذا ما قمتُ به سابقاً، وسأبعث لك مقالاً بهذا إن شاء الله تعالى، لترى كيف أن الرسول ρ قد استخدم هذا المعنى حين أضاف كلمة (خاتم) إلى جمع العقلاء.. (وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَتَمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)، وهنالك رواية وردت في تفسير الصافي: (أنا خاتم النبيين وأنت يا علي خاتم الأولياء)، ورواية في صحيح مسلم (أنا آخر الأنبياء ومسجدي آخر المساجد).. فهنا استخدمت كلمة (آخر) بمعنى الأفضل والأكمل.

{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ }

نوافقك في أن الشريعة قد اكتملت، لكن المشكلة أن الناس يبتعدون عن روحها وجوهرها، فيبعث الله مهديًّا من عنده ومسيحاً كما ذكر ذلك الرسول ρ مراراً وتكراراً، وكما جاءت إشارة إلى ذلك في القرآن الكريم كما في مطلع سورة الجمعة{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }الجمعة3، وكما دلت على ذلك آيات أوردتُها في الرسالة السابقة.

إن القرآن هو الدواء، ولا بد للدواء من طبيب، وهو رسول الله ρ، ثم ألا ترى أن الله تعالى؛ قد بعث مئات الأنبياء التابعين في بني إسرائيل ؟ ألم يُبعثوا جميعاً من دون شريعة؟

إذًا، حين يعمّ الفساد هذه الأمة فليس هنالك أي مانع عقلي ولا نقلي من بعث نبي تابع مجدد للدين، وتاريخ بين إسرائيل مثال مفيد.

أما أن الأمة لم تَعد بحاجة إلى وصاية إلهية، فالأمر ليس من هذا الباب، بل هي الهداية أعظم نعمه سبحانه وتعالى. والأمر ليس مقصوراً على أحكام تُستنبط، رغم عظم أهمية هذا، لكن الهداية أشمل من ذلك.

ومقالاتك المشار إليها قرأت بعضها، وسأحاول أن أقرأ البقية إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم، وكل عام وأنتم بخير ...... أخوك هاني طاهر 4-10-2007

تتمة رد هاني طاهر

الخاتم لغة (6)

الأستاذ سامر الإسلامبولي المحترم

إن كلمة الخاتَم أو الخاتِم تطلق على أمور عدّة:

1- ما يُلبس للزينة.

2- ما يُستعمل للختم، أي التصديق.

3- ما يستعمل للإغلاق المحكم والإنهاء.

شواهد على استخدامه بالمعنى الأول:

أ- الحديث النبوي الشريف: التمس ولو خاتمًا من حديد. (صحيح البخاري، كتاب النكاح، 4727). في هذا الحديث، طلب الرسول ρ من أحد الصحابة أن يأتي بمهر لعروس يريد خطبتها مهما كان ضئيلاً، ولو كان خاتمًا من حديد.

ب- نهانا النبي ρ عن آنية الفضة وخاتَم الذهب.(البخاري، كتاب الجنائز، 1163).

ت-... ثم التفت إلى خباب وعليه خاتَم من ذهب، فقال: ألم يأن لهذا الخاتَم أن يُلقى (البخاري، كتاب المغازي)

ث-... فقمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتَم النبوَّة بين كتفيه مثل زرّ الحجلة (البخاري، كتاب المرضى)

ج- ... فجعلتِ المرأةُ تُلقي القرطَ والخاتَم (البخاري، العلم، 96).

وهناك أحاديث عديدة تورد هذا الاستعمال.

أما كتب اللغة والمعاجم فيكفي أن نورد بعض ما قاله ابن منظور: (الخَتَمُ والخاتِمُ والخاتَمُ والخاتام والخيتام: من الحلي...) ثم أتى بثلاثة أبيات من الشواهد الشعرية على استعمال هذه الألفاظ بمعنى ما يلبس كحلي.. وقال: (والجمع: خواتم وخواتيم... وقد تختَّم به: أي لبسه، ونهى النبي ρ عن التختم بالذهب.... وفي الحديث أنه نهى عن لبس الخاتم إلا لذي سلطان...) (اللسان، ج4ص25).

وهذا الخاتم هنا لا يُستعمل إلاّ للزينة كما هو ظاهر من السياق.

شواهد على استخدامه بالمعنى الثاني:

أ- الحديث النبوي الشريف:

عندما أراد أن يكتب كتابًا للروم، فقيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا مختوماً، فاتخذ خاتَماً من فضّة نَقَشَه محمدٌ رسولُ الله) (صحيح البخاري، كتاب العلم، باب ما يُذكر في المناولة، 63) (كتاب الجهاد والسير، 2721).

ب- الحديث النبوي الشريف: (لا يَجْمَعُ اللَّهُ فِي جَوْفِ رَجُلٍ غُبَارًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانَ جَهَنَّمَ وَمَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ سَائِرَ جَسَدِهِ عَلَى النَّارِ وَمَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ عَنْهُ النَّارَ مَسِيرَةَ أَلْفِ سَنَةٍ لِلرَّاكِبِ الْمُسْتَعْجِلِ وَمَنْ جُرِحَ جِرَاحَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَتَمَ لَهُ **بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ** لَهُ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْنُهَا مِثْلُ لَوْنِ الزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ يَعْرِفُهُ بِهَا الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ يَقُولُونَ فُلانٌ عَلَيْهِ **طَابَعُ الشُّهَدَاءِ** وَمَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ)(مسند أحمد، مسند القبائل، 26231).

- جاء في تفسير الجلالين:(وفي قراءة بفتح الخاء كآلة الختم) (تفسير الجلالين، ص512). كما ذكر ذلك الآلوسي، وغيرهم.

- وقال ابن منظور: (وفي الحديث: آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين؛ قيل معناه طابَعَه وعلامته التي تدفع عنهم الأعراض والعاهات) (اللسان، ج4ص25)

شواهد على استخدامه بالمعنى الثالث:

لقد استخدم القرآن الكريم الجذر الثلاثي (ختم) بمعنى أغلق وغطّى، لكنه لم يستخدم كلمة خاتم إلا مرة واحدة، وذلك في قوله (وخاتم النبيين). وها هي المرات الثماني التي استُخدم فيها (ختم) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

{خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ }(البقرة: 8).

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم } (الأنعام: 47).

{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ} (الجاثية: 24)

{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ } (يس: 66)

{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ } (الشورى: 25).

{يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ *خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} (المطففين: 27).

{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ } (الأحزاب: 41).

أما في الأحاديث النبوية فقد استُخدم (خاتم من ذهب) أكثر من خمسين مرة في كتب الحديث التسعة، واستُخدم (خاتم من حديد) أكثر من ثلاثين مرة، وكذلك (خاتم من فضة). واستخدم (خاتم الشهداء) بمعنى طابَع الشهداء المميز لهم عن غيرهم.

وفي المحصلة فإن الاستخدام الأكثر رواجًا لكلمة (خاتَم) هو بمعنى ما يُلبس للزينة، ثم ما يُستعمل للختم، ثم ما يستعمل للإنهاء.

وهذه الاستخدامات الثلاثة هي على الحقيقة، والسياق هو الذي يحدد المعنى المقصود.

العلاقة بين هذه المعاني وأيّها الأسبق:

لا يمكن تحديد أي المعاني أسبق للفظة (خاتم)، لكن الاحتمال الأكبر، أن الناس استخدموا هذه اللفظة بداية، لما يُلبس للزينة حول الإصبع، ثم استخدموا هذا (الخاتم) لتصديق الكتب، فاشتقوا الفعل (ختم) بمعنى صدّق، كما سمّوْا آلة الختم فيما بعد (الخاتم)، حتى لو لم تكن تلبس حول الإصبع. ثم صاروا يستعملون (ختم) بمعنى أنهى وأغلق، لأن تصديق الرسالة يكون في نهايتها عادة. وبهذا تعددت المعاني لهذه اللفظة، وكلها الآن تستعمل على الحقيقة.

ويُحتمل أن يكون ترتيب الاستخدام غير ذلك. ولا يمكن الجزم بأي رأي.

معلوم أن الألفاظ تكتسب مع الزمن معانيَ جديدة بين الحقيقة والمجاز، فقد يصبح المعنى المجازي معنًى على الحقيقة، والمعنى الذي على الحقيقة معنًى مجازيًّا. وقد يصبح المعنيان على الحقيقة. وهنا أصبحت المعاني الثلاثة على الأقل على الحقيقة.

من هنا فإن معنى (خاتم النبيين) يفسره التركيبُ والسياقُ معًا.

التركيب:

إن كلمة (خاتم) المضافة إلى جمع العقلاء لا يمكن أن تعني إلا خاتم الزينة أو خاتم التصديق، والذي يؤول إلى أفضل. ولا تعني الآخر؛ للأسباب التالية:

1- **لم يستخدمها العرب إلا هكذا**؛ حيث لا يوجد شاهد لغوي واحد على ذلك، أما شواهد على ما نقول فموجودة، وأهمّها الحديث النبوي الذي أخرجه أحمد في مسنده، وفيه (خَتَمَ لَهُ بِخَاتَمِ الشُّهَدَاءِ)، وكذلك قول الشاعر يرثي أبا تمام:

فُجِعَ القَرِيضُ بخاتَمِ الشُّعَراء.......... وَغَديرِ رَوْضَتِهِ حَبيبِ الطّائي

2- **ظل العرب يستخدمونها للمدح عبر تاريخهم،** فلا نكاد نجد عصرًا من العصور لم يوصف فيه أحدُ الناس بأنه خاتم المفسرين أو خاتم المحققين أو خاتم الأولياء[1]

السياق:

إن السياق الذي وردت فيه (خاتم النبيين) في سورة الأحزاب يؤكد، بما لا يدع مجالاً للشك، أنه لا علاقة للآية بانتهاء النبوة، بل كان الموضوع في سياق المدح، ذلك أن حرف الاستدراك (لكن) جاء ليزيل ما يتبادر إلى الذهن من سوء فهم من قوله تعالى{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ }، حيث يخطر بالبال أنه أبتر، فلابد من (لكن) لتأتي بما يمدح الرسول ρ ويبيّن درجتَه العظيمة. وهذا مُوضَّح في أمكنة أخرى تفصيلاً.

ملحوظة:

التصديق لا يعني الإنهاء، فقد يُنهي أحدُنا رسالته بقوله: انتهت. كما تُنهى ورقة الأسئلة بالقول: انتهت الأسئلة. أما التوقيع الموجود في نهاية الورقة أو في بدايتها فهو للتصديق على أن هذه الورقة غير مزورة. وكثيرا ما نرى التصديق يوضع في بداية الورقة،

(1) أحصى فضل إلهي بشير 38 مثالا على ذلك، منها: أبو الوليد خاتمة الشعراء، نقلا عن وفيات الأعيان ج1. السيد علي الأجهوري خاتمة المحققين، نقلا عن الصاوي ج1، ص3. السيد أحد السنوسي خاتمة المجاهدين، نقلاً عن جريدة الجامعة الإسلامية يافا. الدهلوي خاتمة المحدثين، نقلاً عن عجالة نافعة. العباس خاتم المهاجرين، كنز العمال انظر: بشير، فضل إلهي، نسأل معارضينا وعلماءهم، الشركة الإسلامية، ط2، 1980م، ص32-33

كما في أوراق إجابات الامتحانات. ويوضع هذا التصديق رغم أن الورقة فارغة لا شيء فيها. فالتصديق شيء والإنهاء شيء مختلف تمامًا.

والسلام عليكم، وكل عام وأنتم بخير ...... أخوك هاني طاهر 5-10-2007

رد إسلامبولي على هاني طاهر

(7)

(الختم لساناً)

الأستاذ هاني تحية طيبة وبعد

إن الكلمة في اللسان العربي لها دلالة واحدة، تُسمى الدلالة الأصلية، أو المفهوم، أو الإمام، وبما أن أصل اللسان العربي أفعال، كونه انعكاساً للواقع، وتعبيراً عنه، والواقع قائم على الحركة، ظهرت الكلمات لتدل على أفعال ابتداءً من الصيغة الثنائية، وتطورت نتيجة التفكير و ميلاد المجتمع، إلى الثلاثية، مع المحافظة على النظام اللساني المطابق للواقع، وهذا يوصلنا إلى أن أصل دلالة الكلمة هي ظاهرة حركية أو حالية في الواقع، وقام الإنسان باستخدام هذه الظاهرة لسانياً، وأطلقها على كل شيء تحقق فيه المفهوم الإمام، نحو كلمة (كتب) تدل على ضغط ودفع خفيف منته بجمع مستقر، وظهر ذلك الفعل بصور لا متناهية في الاستخدام، مع المحافظة على المفهوم الإمام، انظر:

كتب الله على نفسه الرحمة.

كتب الرجل كتابه على زينب.

كتب الولد الوظيفة، كتب الفلاح محصوله، اكتتب القوم..

ومن خلال هذا المفهوم لكلمة (كتب) ؛ قام الإنسان بعملية التوليد، و الاشتقاق منها لتسمية الأشياء، التي تحقّق فيها دلالة (كتب) لساناً حسب ظهورها، فقال: مكتب، مكتبة، كتيبة، مكتوب، كاتب، كتاب، لاحظ أن مفهوم كتب ظاهر وضابط لكل الصور والاستخدامات، وهكذا دلالة كلمة (ختم) لها مفهوم لساني واحد مرتبط بالواقع، ويتم استخدامها بصور لا متناهية لكل ما يتحقّق فيه دلالة الختم، ومن هذا الوجه كانت كلمة (خاتم) لا تدل على ما يوضع في الأصبع من حلي، فهذا اسمه مَحبس أو حلقة، كما هو مستخدم في الحياة المعيشية إلى يومنا هذا، وإطلاق كلمة

(خاتم) على المحبس، أو الحلقة، ظهر عندما تم صنع أداة الخاتم على صورة محبس أو حلقة يوضع في الأصبع، ومن الطبيعي جداً أن يُسمى خاتماً لوظيفته، ومع مرور الزمن والتساهل في الخطاب صار الناس يستخدمون كلمة (خاتم) ويقصدون بها المحبس أو الحلقة، وذلك لاشتراكهما في وضعهما في الأصبع، وشاع هذا الاستخدام وانتشر، ويعتمد الناس في فهم مقصدهم على الظرف الذي يُقال فيه الكلام، فلو قال مدير لموظف عنده: أعطني الخاتَم، يفهم عليه بصورة مباشرة من خلال الواقع أنه يقصد أداة الختم، ولو قال زوج لزوجه في بيته: أعطني الخاتَم، لفهمت مباشرة أنه يقصد المحبس أو الحلقة، فالناس لا تستخدم الكلمات بصورة منضبطة لما هي عليه أصلاً من حيث المفهوم الإمام، وكما قلتُ لك سابقاً: إن الإنسان لا يخلو من عجمة في الاستخدام للسان العربي، لذا؛ لا يصح جعل الشائع بين الناس من استخدامات برهاناً على دلالة مفهوم كلمة لساناً، واستخدام القرآن لكلمة (ختم) هو الحجة والبرهان على معرفة وتحديد دلالتها في الواقع .وقيل إن المحبس سُمي خاتماً لالتقاء الطرفين مع بعضهما وتشكيل دائرة مغلقة.

لاحظ، أن عملية الختم للشيء في الواقع يتحقق فيها هذه الصور الدلالية :

إنهاء أو توقيف زيادة شيء على شيء، والختم على القلوب، ليس التغطية لها، وإنما إنهاء أو توقيف عملية دخول شيء إليه، فالختم فعل يتحقق بصورة معنوية،أو بصورة مادية، والواقع محل الخطاب يحدد هذه الصورة، انظر إلى قولنا: خَتمت البلدية المحل التجاري، وذلك إذا أنهت وأوقفت عملية الفتح قهراً، ووضعت عليه علامة تدل على ختمه، ونقول: ختم المدير أوراق الطلاب، إذا أنهاها وأكملها تماماً، وتوقف عن العمل

فيها، ونقول: ختم المعمل زجاجات الشراب، إذا أنهاها وأكملها، وظهر ذلك بعملية التغطية والإغلاق لها، لأنها أشياء مادية لا يمكن أن يتم ختمها إلا بإضافة فعل التغطية أو الإغلاق لها ليتم ختمها، وحفظ عملية الختم من أن تزول بصورة انسكاب الشراب، أو ضياعه، أو الزيادة عليه غشاً، ففعل التغطية أو الإغلاق لا علاقة له بفعل الختم، وإنما ظهر هذا الفعل في الواقع كفعل مساعد لتحقيق فعل الختم بالنسبة للأشياء التي لا يمكن أن يتم ختمها إلا بتغطيتها أو إغلاقها.

فمفهوم الختم واحد في كل استخداماته، وهو الإنهاء للشيء المبدوء به سابقاً، ومنع الزيادة عليه أو النقصان، وظهر من جراء هذا المفهوم فعل التصديق، والتوثيق، والحفظ، والإكمال، والتواصل، والاستمرار لكل عمل مختوم .

لذا؛ لا يصح فهم ودراسة القرآن على الشائع في استخدامات الناس، أو من التراث والشعر...، فالقرآن نزل بلسان عربي، ولم ينزل بما شاع بين الناس، ولم يترك دلالات كلماته للعرف، وموت وحياة الكلمات بين الناس، فاشتهار استخدام صورة من دلالة كلمة، لا يعني أن نحصر دلالة هذه الكلمة في هذه الصورة، فما بالك لو كان استخدام هذه الصورة خطأ من أساسه، نحو استخدام كلمة (خاتم) على المحبس أو الحلقة .

فمفهوم كلمة (خاتم) في اللسان العربي لا تدل على الزينة أبداً، وإنما قد يترتب على استخدامها ظهور دلالة الزينة من جراء فهم محل الخطاب دون نفي لدلالة كلمة (خاتم)، فعندما قال الله: (خاتم النبيين) ظهر مفهوم الفضل والعظمة للنبي من جراء جعله خاتماً لهم، وليس ذلك دلالة كلمة (خاتم) لساناً، فعندما نستخدم دلالة كلمة

في الواقع يُرافقها ويحفّها ظروف تلازم تحقيق الدلالة لها في الواقع، نحو عملية التغطية والإغلاق لتحقيق فعل الختم للشراب أو الأطعمة المعلبة. وينبغي ملاحظة أن الأمر الذي نختمه إنما هو لمقصد الحفظ له، وعدم التلاعب فيه زيادة أو نقصاناً، والختم يأتي بعد الإكمال.

لذا؛ أكرر لا قيمة البتة من الناحية البرهانية لاستخدام الناس من السلف أو الخلف لكلمة (الخاتم) لأنهم لا يخلون من عجمة في لسانهم؛ لاتصافهم بالمحدودية المعرفية، والتساهل في الخطاب، أو استخدام الكلمة بصورة المبالغة، أو استخدام الكلمة ويقصدون بها الظروف الملازمة لتحقيقها، نحو قولك: (التغطية أو الإغلاق) مع العلم أن هذا ليس من دلالة كلمة (الختم)، وإنما هو ظرف لازم للأشياء التي لا يمكن أن يتحقق فيها عملية الختم إلا بتغطيتها، أو إغلاقها، فالمقصد هو الختم لا التغطية، ولكن التغطية هي التي ظهرت في الواقع، فأخذ الناس الدلالة الظاهرة وصاروا يستخدمونها في حديثهم، ولو كان الأمر أحياناً لا يُقصد به فعل الختم، وإنما مجرد طلب التغطية للشيء .

أما قولك السابق : (إن كلمة خاتم المضافة إلى جمع العقلاء لا يمكن أن تعني إلا خاتم الزينة أو التصديق والذي يؤول إلى دلالة الأفضل . ولا تعني الآخر).

فهذا الكلام نتيجة ملاحظة استخدام الناس للكلمة في سياق المدح، أو في معيشتهم، وهذا استخدام قاصر كما ذكرت لك، ولا يستخدمون الكلمة في مفهومها الكامل، وإنما أخذوا منها جزءاً ، نحو أسلوب المدح باستخدام كلمة (خاتم)، فقد لاحظوا أن فعل الختم إذا تحقق بإنسان في الواقع ترتب عليه ضرورة أنه الأفضل والأعظم، فأخذوا

هذه النتيجة واستخدموا كلمة (خاتم) ليدلوا على مقصدهم، ولا يقصدون دلالة كلمة خاتم في الواقع، أو يقوم الناس بأخذ الظرف الذي لازم ظهور فعل الختم، ويستخدمون كلمة (الخاتم) ليدلوا عليه مع عدم قصدهم مفهوم كلمة (خاتم) لساناً، نحو إطلاق كلمة (خاتم) على المحبس أو الحلقة رغم انتفاء عنه فعل الختم .

أما السياق القرآني الذي استخدم كلمة (خاتم) فقد أتى ليؤكد مفهوم الخاتمية حقيقة، الذي هو الإنهاء والتوقيف للأمر المختوم بقصد الحفظ، والتصديق، والتوثيق، والإكمال، والاستمرار له على أرض الواقع، وظهر نتيجة تحقق الختم بالنبي محمد مفهوم أنه الأفضل والأعظم بين الأنبياء، وبظهور هذا المفهوم اللازم للنبي محمد ترتب عليه ظهور مفهوم المدح، وقد تطرقت إلى ذلك في ردي السابق.

أما قولك : (التصديق لا يعني الإنهاء) فيوجد علاقة جدلية بينهما .

فالتصديق للشيء بمعنى الاعتقاد بثبوته وحصوله، قطعاً لا يدل على إنهاء الأمر. كما أن نهاية الأمر لا تدل على صدقه، فالأمر ليس كذلك، وكلمة (الخاتم) لا تدل على مجرد الإنهاء، أو مجرد التصديق، كقولك : انتهت الأسئلة . قطعاً لا تدل على تصديقها، وبالتالي فهي غير مختومة، أما قولك : التوقيع الموجود على الورقة فهو للتصديق على هذه الورقة غير مزورة . فهذا يا سيدي عمل توثيقي فقط لا علاقة له بالختم قط . ووضع التوقيع في أعلى الورقة ، أو أسفلها عمل لا قيمة له من الناحية البرهانية لوجود التساهل في الاستخدام .

الخلاصة :

1- **التصـديق** : الاعتقاد بثبوت شيء وصوابه، ويُستخدم بين الناس لتوثيق معاملاتهم .

2- **الإنهاء** : يدل على توقف وانقطاع الشيء، اكتمل في الواقع أو لم يكتمل.

3- **مفهوم (الخاتمية)** هو إنهاء شيء أو توقيفه لاكتماله بقصد حفظه واستمراره ، ومنع الزيادة عليه أو النقصان.

ومن هذا الوجه أتى فعل ختم المعاملات، وذلك لحفظها وإثبات نهاية مضمونها وإضفاء عليها صفة الصدق، ومنع تحريفها زيادة أو نقصاناً ، لذا؛ ينبغي وضع الختم دائماً في آخر المعاملة .

وعندما أتى استخدام كلمة (خاتم) للنبيين أفادت إنهاء نزول وحي النبوة، وذلك لاكتمال الدين، واقتضى ظهور عملية الحفظ للدين واستمراره، والتصديق للبناء السابق، والتواصل مع الأنبياء، فظهر فعل التوثيق، وظهر فعل المدح للنبي عندما جعله الله خاتماً .

وأتت جملة (لكن خاتم النبيين) بسياق الاستدراك لتؤكد هذه المفاهيم كلها، وترد على من قال بأن محمداً أبتر، لا أولاد ذكور له يُحيون ذكره، وبالتالي، فمن الخطأ أن يُحصر مفهوم الخاتمية بمعرض الرد على هؤلاء، وينبغي تفعيل دلالة المفهوم والأخذ بكل صور دلالاته في الواقع .

أما استدلالك بآية{وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً } (النساء69) على إمكانية استمرار وجود مقام النبوة، فَهماً من عطف الصديقين والشهداء والصالحين

عليه، وقلتَ : (إنك مادمت تؤمن بإمكانية وجود صديقين وشهداء وصالحين ، فعليك أن تؤمن بإمكانية وجود أناس يَصلون درجة النبوة أيضاً ، لكنهم ليسوا بأنبياء مستقلين ..)

أخي هاني

لا مانع عقلاً أو شرعاً من وصول بعض الناس إلى مستوى مقام النبوة اكتساباً، ويصح أن نطلق عليهم اسم النبيين لساناً، ولكن لا يُضافون لله، لأن هذا المقام اصطفاء من الله Y وليس اكتسابياً!، أما استدلالك بالنص على استمرار وجود نبيين من الله، فالواقع يُكذب ذلك ابتداءً.

أ- أين النبيين بعد النبي محمدρ طوال ألف عام ونيف !؟

ب- أين النبيين بعد الإمام المهدي والمسيح الموعود !؟

فنحن، والمجتمعات السابقة، التي لا يوجد فيها نبيين كما هو معلوم ضرورة، نطيع الله ورسوله ، فأين النبيين من الله حتى نكون معهم وبصحبتهم في الدنيا طوال هذه المدة !؟ ألا ترى أن هذا المفهوم غير واقعي ! ولو كان صواباً لاقتضى استمرار النبوة دون توقف أو انقطاع إلى يوم الدين، حيث يخلف النبيّون بعضهم بعضاً !. وانظر إلى انقطاع النبوة الإلهية بين النبي عيسى، والنبي محمد؟

فلا مانع من وصول بعض من الناس إلى مستوى مقام النبوة، ويمارسون عمل النبيين دعوة وتعليماً، وتجديداً لفهم أمور الدين، والإشراف على الناس لتزكيتهم، ولكن لايضافون لله .

أما قولك: (أما وصفك النص القرآني بأنه منزه عن المبالغة، فينقضه قوله تعالى:

{وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} (يوسف31)،وقوله{ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ} (آل عمران 119) وغيرها من الآيات).

ينبغي أن تعلم أن كلام الله حق وصدق، **لا يوجد فيه مبالغة أو مجاز قط**، فكلمة قطع غير كلمة بتر، والنساء قَطَّعن أيديهن حقيقة، بمعنى الجرح والخدش، وما شابه ذلك، وعندما يقول الله (عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ) فكلامه صدق وحق، وبالتالي فالعض حصل منهم على وجه الحقيقة، وكثير من الناس في الواقع عندما يتعرضون لموقف إغاظة أو غضب يضرب نفسه أو يعض أنامله، فلماذا الاستغراب؟ وصرف حقيقة النص إلى المبالغة يلزم منها اتهام النص القرآني دون قصد بالوهم، ومخالفة الحقيقة، والكذب؛ لأن أسلوب المبالغة يدل على نفي وجود صورتها حقيقة في الواقع.

وأنا لا أُعَوِّل على التسميات كثيراً، فلكل ناس أو جماعة اصطلاحات (الإمام المعصوم، والولي، والمهدي المنتظر، والمسيح الموعود، والمخلص ...الخ)، فهذه تسميات مُؤدلجة يُقصد منها تعبئة الناس وحشدهم، وجذب انتباههم من خلال استخدام المخزون الثقافي لكل جماعة، ولا تخلو جماعة من إيمانهم بمخلص يُضفون عليه صفات غيبية، وقوى عظيمة، فأنا **أعتمد على القرآن، والعلم، والواقع، والتفكير،كمصادر لمفاهيمي، ومقياس لصواب الأفكار، فالعمدة والعبرة بمضمون الدعوات ، وليس بأشكالها أو مصطلحاتها**، فمفهوم نبي ظلي، وتابع للنبي الأصل محمد، مفهوم مفرغ من محتواه، ولا قيمة له البتة على أرض الواقع، بل وجعل الإيمان به شرط للنجاة من النار، مفهوم غير صواب .

فكما قلتَ حضرتك: إن النبي (غلام أحمد) هو تابع وظل للنبي محمدρ، ويدور في فَلك دعوته، فكيف ننفي صواب، وكمال إيمان رجل لم يصدق نبوة غلام أحمد الظلي ؟ مع العلم أنه يؤمن بالنبي محمد الأصلي، ويدور في فلك دعوته ، ويلتزم بالقرآن ، أي يؤمن بالدعوة التي يدعو إليها غلام أحمد نفسه، فهل المطلوب هو الإيمان بالدعوة، أو الإيمان بالشخص نفسه !؟

ما يؤكد على عدم شرطية التصديق بإمامكم للنجاة يوم القيامة، لأن الشرط، هو الإيمان بالله، واليوم الآخر، والعمل الصالح؛ وفق المنفعة للناس منضبط بشرع القرآن، فهل إمامكم يزيد على ذلك ؟ فإن كان يزيد، فهو مردود عليه –كما تقولون أنتم– وإن لم يزد على ذلك شيئاً –كما تعتقدون حضرتكم– فنحن، وأنتم في فريق واحد، وما إمامكم افتراضاً إلاَّ أحد العلماء المجددين لهذا الدين الحنيف.

أما قولك (من قال: إن ابن النبي، لابد أن يكون نبياً)

أخي الكريم

أنا لم أذكر ذلك كشرط، وإنما ذكرت ذلك تأويلاً، وفهماً للحادثة التي جرت، وهي وفاة الأولاد الذكور للنبي وهم صغار، ونزول النص القرآني الذي ينفي صفة الأبوة عن النبي محمد؛ لأي من الرجال، أي إن تم عملية ولادة أي ولد ذَكَر للنبي ، لابد أن

يموت وهو صغير قبل أن يصل إلى سن الرجال. انظر على سبيل الاستئناس قول النبي محمد عندما تُوفي ابنه إبراهيم: (لو عاش لكان نبياً).

أخي الكريم

ينبغي أن نتحرر من مقولة (من قال بقولك) أو (من معك على هذا القول) !، أما ردك على قولي(لا وجه للتفريق بينهما البتة) بقولك:(فهو غريب فالفرق بينهما مهول).

أخي الكريم

أنا لم أقصد بعدم وجود فرق بين مفهوم النبوة ، والرسالة، من حيث الواقع والوظيفة، وإنما قصدت دخولهما كلاهما في مفهوم الخاتمية ،لأن الخاتمية تعلقت بمفهوم النبوة (خاتم النبيين)، والفرق بين النبي القائد، والنبي التابع، قد حددته بقولي: **رسول نبي قائد، ورسول نبي تابع، وكلاهما أنبياء ورسل الله عموماً**، ولو كان قولك صواباً في إخراج النبي التابع من دلالة كلمة (خاتم) لكان ينبغي أن يأتي النص بصيغة أخرى مثل (**ولكن نبي الله وخاتم الرسل**) فنفهم إمكانية استمرار بعث الأنبياء التابعة، ولكن أتى بصيغة: {وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} مع العلم خطأ مقولة(**ولكن نبي الله وخاتم الرسل**) لأن استمرار الرسل ضرورة لإقامة الحجة على الناس، وليس كل رسول نبي بينما العكس صواب.

أما قولك (الأول يأتي بدين جديد، ويُلغي الدين السابق) فهذا كلام بعيد عن الصواب، لأن الأنبياء والرسل **دينهم واحد، وهو الإسلام** {إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ

الإِسْلاَمُ }(آل عمران19)، الذي بدأ بنوح، وانتهى بمحمد صلوات الله عليهم، فتوحيد الله أساس لكل دعوات الأنبياء ، أما الشرع الإسلامي فقد خضع لعملية تدرج وتراكم في نزوله، إلى أن اكتمل ببعث النبي محمدρ، وكان ينزل مع الشرع الإسلامي فيما سبق شرع عيني فيه صفة القومية ، والزمكانية، يتم تعديله أو نسخه مع نمو وتطور المجتمعات، إلى أن تم نسخه كاملاً حينما اكتمل نزول الشرع الإسلامي، فعملية النسخ كانت تتم بين شرع عيني سابق، وآخر لاحق، بخلاف الشرع الإسلامي فمنذ بدء نزوله على أول رسول نبي كانت أحكامه تنزل بصفة الإنسانية، والعالمية، وتأخذ صفة الثبات والاستمرار، إلى أن اكتمل ببعث النبي الخاتم محمد ρ.

إن الاستدلال بمادة الحديث النبوي ، وتتبع الكلمات التي تخدم فكرتنا، ليس هذا العمل بصواب ، لأن متن الحديث -كما تعلم حضرتك -لم يتم نقله بالحرفية ، غير مسألة التحريف، وأنا عندما ذكرت لك الرجوع لمادة الحديث، ذكرت أيضاً: **إن الحديث ليس برهاناً بذاته،** وإنما لألفت نظرك إلى أن التراث فيه كل شيء، ولا يعدم رجل من استدلال على فكرته بحديث، أو قول مأثور.

أما قولك: إن القرآن دواء ولابد للدواء من طبيب ، فهذا كلام صواب ، ولكن ينبغي أن تفرق بين من يصنع الدواء ، ومن يصفه للمريض ، فنزول القرآن قد اكتمل والنبوة خُتمت، ما يؤكد على أن الأطباء ما ينبغي أن يتدخلوا في تركيبة الدواء، وإنما مهمتهم، الدراسة واختيار الدواء المناسب للمريض حتى يشفى، وهذه المهمة مُناطة بالعلماء على كافة الاختصاصات، وكلهم عيال على القرآن والعلم، أما مسألة بعث

نبي من الله جديد، فلا مانع من ذلك نظرياً بشكل سطحي، ولكن يوجد مانع عقلي، ونقلي متضافرين مع بعضهما:

-**البرهان النقلي** : **اكتمال نزول الدين، وإتمام النعمة، ورضى الرب** لنا الدين، **وختم النبوة الإلهية بنوعيها** (القيادية والتابعية) بالنبي محمدρ صراحة.

-**البرهان العقلي** : وصول الجنس الإنساني إلى بدء سن الرشد والوعي، وتم إدراك ذلك من البرهان النقلي(الوحي الإلهي) ذاته من حيث اكتمال الدين، وصفة الخاتمية ، وإلاَّ، لماذا تمَّ اكتمال الدين، وختم النبوة في ذلك الزمن ؟ولماذا لم يتم ذلك في زمن عيسى υ ؟ بل، لماذا لم يكن ذلك في زماننا هذا ؟ فهذا دليل عقلي على أنَّنا وصلنا إلى بداية الرشد، **الذي يقتضي رفع الوصاية الإلهية المباشرة تكريماً ورحمة للجنس الإنساني، فتم انسجام بين عملية اكتمال الدين، وصفة الخاتمية للنبي محمد، ووصول الإنسانية إلى بداية سن الرشد، والوعي.**

وعملية الهداية من الله Y قد تمت في **القرآن** ابتداء، **والعلم ثانياً**، ولقد ذكرت لك سابقاً: إن بعث الأنبياء في بني إسرائيل، إنما هو لانتفاء اكتمال الدين، وعدم خاتمية النبوة بأحد منهم، وانتفاء وصول المجتمع إلى بداية سن الرشد،كل ذلك اقتضى تكرار بعث الأنبياء للأخذ بيد المجتمع والرقي به، فلا مسوغ أن تذكر هذه النقطة بعد الآن قط .

وجميع النصوص القرآنية التي ذكرتها في مقالك السابق ، لا يوجد فيها دلالة قطعية على مفهوم استمرار بعث الأنبياء ، لذا؛ لم أناقشها سابقاً، والعمدة في مسألتنا هي **آية الإكمال، وآية الخاتمية**، فإن استطعت أن تُثبت مفهومك من خلالهما بصورة

قطعية، تكون قد أثبتَّ صواب مفهوم استمرار النبوة بعد النبي محمد، وإن لم تستطع ذلك، يكون قد انتفى عن مفهومك صفة الصواب، وصار مفهوماً ظنياً خاصّاً بك، وما ينبغي أن تجعله مقياساً لصواب إيمان الآخرين قط، فضلاً عن وصفهم بالضلال، لأن الضلال يقابله مفهوم الهدى، ويقابل مفهوم الصواب، مفهوم الخطأ، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل صالحاً، ويلتزم بالشرع القرآني، يكون على هدى من الله، مع احتمال الخطأ في قناعته في بعض المفاهيم ضمن دائرة الهدى، وهذا لا يخرجه إلى دائرة الضلال .

وإن افترضنا صواب مفهوم استمرار النبوة الظلية التابعة للنبي محمدρ، يعترضنا بعض الأسئلة، وهي:

1- أين النص القرآني القطعي الدلالة ، الذي يأمرنا أن نصدق بنبوة هذا النبي الظلي؟

2- أين النص القرآني القطعي الدلالة، الذي اشترط للنجاة يوم القيامة التصديق به ؟

3- هل المطلوب الإيمان بشخصه، أو الإيمان بدعوته ؟

4- إن كان بعث النبوة بعد محمد ممكنة ، و ضرورة ، ورحمة ، وهداية ، لماذا انحرم منها المجتمعات السابقة أكثر من ألف عام، وهل كان إيمانهم صواباً، أو شرعهم ناقصاً ، وهل ناجون يوم القيامة !؟

5- لماذا لم يتم استمرار بعث الأنبياء بعد الإمام ميرزا غلام أحمد؟، هل توقفت الرحمة الإلهية،أو انقطعت صفة الهداية ،أو لم يعد ضرورة لذلك !؟

6- لقد ذكرت في مقالي(الخاتمية) أنَّ الله قد جعل النبوة حصراً في ذرية نوح وإبراهيم أو أحدهما، سواء من طرف الوالد أو الوالدة ، أو كليهما ، فهل ينطبق ذلك على حضرة ميرزا غلام أحمد !؟ وهذا النسب ينبغي معرفته في المجتمع الذي يُبعث فيه النبي ضرورة، ولا يصح إثباته من خلال حُلم لصاحب العلاقة نفسه!.

وتقبل تحياتي العربية ....سامر

نقاش مع أحد الأخوة الأحمدية حول إمكانية بعث نبي من الله بعد النبي الخاتمي

لقد تعرضت في مقالي إلى شرح نص أو أكثر مما أتيت به حضرتك وبينت لك أن دلالتيهما ليست كما ذهبت حضرتك، والحد الأدنى أن الدلالة ظنية ولا تصلح لحسم النقاش وتثبت فكرتك، ولكن مازلت تقفز من نص إلى آخر وتسرد أي منهم دون

وجود علاقة بالفكرة التي هي محل النقاش وتطالب الآخر بتفسيرها !! فهذا الأسلوب هو إغراق الموضوع وتسطيحه حتى تضيع الحقيقة.

ومع ذلك سوف استعرض لك وأعيد شرح مفهوم بعض النصوص التي تستدل بها وأطلب منك أن تفعل ذلك وحدك في النصوص الأخرى .

1- النص الاول:

}أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إَمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يُؤْمِنُونَ} (17) سورة هود .

انظر إلى آراء معظم المفسرين في تحديد الشاهد من خلال إرجاع الضمير في كلمة (منه) وعد أن البينة في النص هي القرءان ذاته

أ- جبريل

ب- النبي محمد نفسه

د- الإمام علي بن أبي طالب

ج- أبو بكر وعمر والصحابة بشكل عام

هـ- القرءان ذاته

و- وزدتم أنتم الأحمدية أنه المهدي غلام ميرزا.

والصواب أن الشاهد هو من القرءان ذاته كنظام محكم لبنيته وتعلق خطابه بالواقع الخارجي المتنامي علماً بالنسبة للناس، وهذا دلالة كلمة شاهد التي تدل على المعرفة والعلم والخبرة وهي غير دلالة شهيد التي تدل على الحضور الواعي للحدث ومعاينته. وكلمة يتلوه أتت معطوفة بالواو الذي افاد في هذا السياق المجيء معه وليس بعده الذي هو دلالة حرف العطف (الفاء) ناهيك عن الفاصل الزمني الذي هو دلالة حرف العطف (ثم) والتلاوة تدل على الإتباع وليس مجرد المجيء البعدي أو المصاحب، اقرأ قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ{ البقرة121.

فالشاهد هو العلم الموجود بالقرءان وخارج القرءان والعلاقة بينهما منسجمة وتصديقية اقرأ قوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }فصلت53

-2النص الثاني:

}يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ }الأعراف 35

يقول الأحمدية والخطاب في هذه الآية جاء بصيغة المضارع، التي تفيد الاستقبال، أي أنَّ الخطاب لبني آدم في المستقبل، والآية تطلب من هؤلاء أنْ يؤمنوا بالمرسَل إليهم منهم. ولو فرضنا أنْ لا أحد سيأتي في هذه الأمة مبعوثًا من عند الله؛ لما كان لهذه الآية أية فائدة، وحاشا لله من ذلك.(

-إن خطاب (يا بني آدم) شامل كل الناس إلى يوم القيامة كما ذكروا ، وهذا لا خلاف فيه، وكلمة (يأتينَّكم (فعل مضارع تفيد الاستمرار والمستقبل ، فأيضاً صواب لا غبار عليه، ولكن من أين تم فهم كلمة (مبعوثاً) التي استخدمها الاحمدية في شرحهم للنص ؟والنص ذَكر كلمة (يأتينَّكم)! ودلالتها غير دلالة كلمة (بعث)، وكذلك النص ذكر كلمة (رُسل) ولم يذكر كلمة) نَبيّين)، ويوجد فرق بين دلالة الكلمتين كما ذَكرتُ سابقاً من حيث أن كل نبي رسول ضرورة ، والعكس غير صواب ، اقرأ قوله تعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً {مريم51 ، ألا يوجد فرق عندك بين جملة (رسول نبي) وجملة) نبي رسول)؟ ألا يوجد في النصوص ذكر كلمة نبي فقط؟ اقرأ قوله تعالى:{وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً{ مريم53 ، هل وجود كلمة رسول قبل كلمة النبي ، مثلها مثل نفيها؟

لذلك قلت : إن كل نبي رسول والعكس غير صواب.

والنبوة الإلهية مختومة بنوعيها(القائد والتابع) ببعث النبي محمد، بينما مقام الرسول مستمر إلى يوم الدين ضرورة لإقامة الحجة على الناس، لذلك أتى في النص كلمة (منكم) ولم تأت كلمة (منّي)! مع غياب كلمة (بعث) المتعلقة بالنبيين، وإدخال النبيين في دلالة كلمة الرسل بحاجة إلى قرينة، والإيمان مطلوب بكل الرسل(النبيون خلال حياتهم)، (و العلماء والدعاة والقادة الراشدون) وهذا يقتضي حياتهم لأن من المعلوم أن الطاعة متعلقة بحياة الآمر، ولا تكون الطاعة للأموات، وبالتالي يجب تصديقهم وإتباعهم فيما يأمرون من الحق والصواب وما ينفع الناس، وبالتالي ثبت أن النص له فائدة مستمرة، ولا علاقة له بمفهوم استمرار النبوة قط، وعلى أقل احتمال إن الدلالة لهذا المفهوم ظنية في النص، وإذا طَرأ الاحتمال بَطُل الاستدلال .

3- النص الثالث:

}اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (75) سورة الحج .

إن كلمة (يصطفي) فعل مضارع وحسب الدلالة له لابد من استمرار الاصطفاء وعدم توقفه، وهذا كلام صواب اقرأ قوله تعالى:{قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ }النمل59 فهؤلاء العباد الذين اصطفاهم الله ويصطفيهم ليسوا كلهم أنبياء بالضرورة، والنص ذكر كلمة (رسلا) والرسول لا يشترط له أن يكون نبياً، فكل من حمل رسالة الله علماً وعملا ودعوة فهو رسول الله للناس وهذا مستمر في كل زمان ومكان، والاصطفاء دائما متعلقا بمعطيات عملية وفهمية وإيمانية وطهارة وصفاء للنفس تؤهله للاصطفاء الإلهي، ولا يعني ذلك إخباره

أن الله اصطفاه، فلسان حاله هو الذي يقول بالاصطفاء الإلهي له إلى زمرة الصالحين والمؤمنين .

-4 النص الرابع:

ميثاق النبيين

]وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } (الأحزاب: ، هو ميثاق بالتعهد بالصدق في تبليغ الرسالة دون زيادة أو نقصان والدعوة إلى التوحيد، اقرأ النص الذي بعده مباشرة يبين لك ذلك{لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً }الأحزاب8

والميثاق الغليظ الذي أُخذ من النبيين كلهم ومحمد معهم غير الميثاق الذي ذكر في النص التالي :

} وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ } (سورة آل عمران: 82 (

فالنص الثاني لم يذكر النبي محمد وهذا يدل على أن المقصود بالميثاق هم النبيين السابقين ، وكان ذلك عند بعثة كل منهم ، وحرف (ثم) حرف عطف يفيد الترتيب مع الفاصل الزمني بصرف النظر عن طوله أوقصره، والميثاق موجه للنبي خاصة و

للقوم المعاصرين له أن يؤمنوا بالرسول الذي بعده بشرط التصديق لما أتى به النبي الأول من توحيد وتشريع دائم إنساني، وليس الميثاق للنبي نوح وقومه مثلا أن يؤمنوا بالنبي محمد، فهذا عبث في الخطاب لأن النبي نوح وقومه لن يدركوا النبي محمد قطعاً، وإنما الميثاق الإيمان بالنبي الذي بعده مباشرة ، وهكذا جميع الأنبياء وأقوامهم .

أما القول : بأن الميثاق الذي أخذ من كل النبيين ومحمد معهم هو أن يؤمنوا بالمهدي الذي سوف ياتي بعد النبي محمد بألف سنة وينصروه ، وأقروا على ذلك وشهدوا على أنفسهم ، فهذا قول باطل وغير عقلاني ولايحتمله النص لامن قريب ولا من بعيد فهو مقحم إقحام في النص لإثبات فكرة مسبقة في الذهن، ولم يرتق إلى فهم مرجوح.

وظاهر هذا الكلام يفيد ان المبعوث الأخير بعد النبي محمد هو خاتم النبيين وهو اعظم الجميع وسيدهم .

فمحل النقاش هو نص الخاتمية و نص الإكمال والواقع الإنساني فقط ، فلا تعد تسرد نصوصاً بشكل اعتباطي ، إما أن تناقش هذا أو انقطع عن النقاش وانسحب، وكف عن الادعاء بحسم المسألة قرءانياً لصالحك!!!!!

-النص الخامس :

} وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً { (النساء 70)

كلمة (يطع) فعل مضارع يفيد الاستمرار له ، وهذا يدل على وجودالجهة التي هي محل للطاعة لأن الطاعة لاتكون إلا لحي.

وكلمة الرسول يقصد بها حامل الرسالة والرسالة ذاتها كونها الاصل لوظيفة الرسول البشري، كما هو معروف في اللسان العربي والاستخدام القرءاني، وهؤلاء الناس المطيعون يخبرهم الله أنهم مع النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ، وهذا يلزم وجود هذه المقامات بشكل دائم لا تنقطع من الوجود، وهذا دليل على أن دلالة كلمة (النبيين) في النص ليست هي المضافة لله ، وهذا يدل على عمومها ويقصد بها المبعوثين من الله حينئذ الحاضرين مع النبي محمد، والقادة العلماء الصالحون والدعاة إلى الحق والخير والنهضة بالعباد والبلاد من بعدهم الذي وصلوا إلى مقام النبوة) علم وإيمان ودعوة وإمامة .(

والأمر بالإيمان بالنبيين عام يشمل النبيين الذين بعثهم الله ، والنبيين الذين وصلوا إلى هذا المقام بعلمهم وصلاحهم ،انظر قوله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...} البقرة177، وهذا البر مستمر إلى يوم الدين ، ومطلوب من الناس أن يؤمنوا بهم، وبما أن الله ختم النبوة الإلهية المتعلقة ببعثة النبي محمد، وختم النبوءة أيضاً من عنده، فبقي النبيّون والنبيئون من الناس (القادة الراشدون العالمون الصالحون الدعاة إلى الله) و (المتنبئون بالعلم والدراسة) ولكل مجتمع نبيين وأنبياء بالمعنى اللساني، وليس هم من الله، ويجب الإيمان بهم؛ بمعنى إتباعهم وطاعتهم فيما يأمرون من الخير والمعروف

ونهضة العباد والبلاد وفق لا طاعة لأحد في معصية الخالق ، وإنما الطاعة بالمعروف، وقل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

هل يكفي شرح النصوص الخمسة أم ينبغي أن أشرح لك كل ما يخطر في بالك من النصوص التي تظن أن لها علاقة بفكرتك؟ !!!!!

فكفاك مراوغة ومناورة وسرد أي نص والادعاء بأن الأمر محسوم قرءانياً !!!!!

أخي الكريم

انتبه إلى أن الختم متعلق بالنبوة وليس بالدين،(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)المائدة3

)مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً)الأحزاب40

فلو كان المقصد من ختم النبوة هو عدم بعث نبي بشرع جديد أو ناسخ للشرع الإسلامي فقط ، لما كان بحاجة لنزول نص ختم النبوة، لأن نص الإكمال وإتمام النعمة ورضى الرب عن الدين الذي انزله للناس كاف لمنع بعث أي نبي بعد النبي محمد بشرع جديد أو ناسخ لما سبق، لان الإكمال للدين يفيد ذلك المعنى ضرورة ، والعمل الكامل لا ينقض أو يزاد عليه أو ينقص منه شيئاً لان لو حصل ذلك لانتقض الكمال.

أما بنزول نص ختم النبوة فهو لتقرير مسالة أخرى غير إكمال الدين أو انتفاء نسخه ألا وهي ختم النبوة الإلهية ذاتها كمقام، مع العلم أن ختم النبوة لا يمكن أن تكون في أول الشيء أو وسطه بل لابد أن تأتي عند إكمال العمل وإتمامه ضرورة، فالختم نتيجة الإكمال والإتمام والعلاقة بينهما جدلية، فختم النبوة يدل على وجود إكمال الدين وإتمامه ، والإكمال والإتمام للدين يلزم منه ختم النبوة .

فدلالة كلمة خاتم لا تعني الآخر لساناً ، وهي مفهوم يدل على المدح منطقاً، وتدل على مجموعة من المفاهيم لساناً أو لزوماً من الواقع متعلقة ببعضها حسب السياق والاستخدام، وفي النص المعني بالدراسة.)خاتم النبيين)تدل ابتداء على وجود نبيين قبله ملتزمين بشيء واحد جاء هو بالالتزام ذاته مصدقاً لهم ، وظهر فعل الإضافة بتعاليم معينة على ما سبق نزوله، وبذلك وصل إلى فعل الإكمال الذي اقتضى الإنهاء الذي يوصل إلى التوقف ،وبذلك ظهر فعل الحفظ والاستمرار للدين الذي اقتضى الصلاحية ، وهذا يدل على ان هذا النبي هو الآخر بعثة في سلسلة النبيين من الله، وهذا يقتضي أنه أفضلهم عندما صار هو الخاتم. هذا مفهوم كلمة (خاتم) لساناً ومنطقاً حين الاستخدام ،

وما ينبغي أن نستخدم كلمة (خاتم) على اللوازم لها منطقاً نحو مفهوم الأفضل ،فهو ليس من دلالة الكلمة لسانياً ، وإنما من لوازمها ، وكذلك كلمة) آخر (فهي من لوازمها وليس من مفهومها لسانياً، وكذلك كلمة الإنهاء والإغلاق والطبع.... أيضاً من لوازمها......فقول أحدهم :زيد خاتم المحققين أو الشعراء ،غير صواب لأنه

استخدم مفهوماً كبيراً واسعاً لجزء من لوازم كلمة خاتم منطقاً، غير أن كلام البشر كائن من كان وفي أي زمان أو مكان لا يصلح أن يكون برهاناً على صواب استخدام كلمة لسانية أو إنشاء قاعدة نحوية .

فالختم للنبوة الإلهية بنوعيها القائد والتابع، والإكمال والإتمام للدين والنبوة الاكتسابية مستمرة على الرسالة الكاملة التي رضيها الله للناس، إمامهم النبي إبراهيم، وأسوتهم النبي محمد.

والنعمة أتمها الله على الناس بأن أكمل الدين وارتضاه لهم وحفظه وسلمهم مفاتيح الخلافة في الأرض ورفع الوصاية الإلهية عنهم .

أسلوب خداع جماعة الأحمدية بالنقاش والحوار

– يثبتون وفاة النبي عيسى موتاً مثله مثل سائر النبيين والرسل من خلال النصوص القرءانية والمنطق، وهذا صواب، وبعد ذلك يتجاوزون القرءان ويتركونه ويقفزون للأحاديث المنسوبة للنبي المتعلقة بنزول النبي عيسى في آخر الزمن، ويقولون: طالما أن النبي عيسى ثبت وفاته بالقرءان وبالمنطق فهذا يدل على أن الأحاديث المتعلقة بنزول النبي عيسى هي مجازية (ومن أجل ذلك يثبتون المجاز في القرءان) ويقصد بها شبيه النبي عيسى وليس شخصه، ومن ثم يُجيرونها لميرزا غلام احمد الهندي ويدعون أنه هو المهدي وهو النبي عيسى ؛ بل وهو السيدة مريم أيضاً ؛ بل هو بشرى كل النبيين ومحل

الميثاق الذي أخذه الله من النبيين والرسل للإيمان به ونصرته، ولا أدري كيف يؤخذ ميثاق من النبي نوح مثلاً على الإيمان ونصرة المهدي وهو لن يدركه قطعاً!!، والمنهج العلمي ينبغي أن يرفضوا كل أحاديث نزول النبي عيسى لمخالفتها للقرءان صراحة كما اعترفوا بأنفسهم، ولكن نراهم أولوها لإثبات عقيدتهم المبيتة سابقاً في ذهنهم، فتأمل تخبطهم وضلالهم.

- ويأتون لنص ختم النبوة ويحرفونه بأن معنى خاتم هو زينة مثل المحبس الذي يوضع في الأصبع فالنبي محمد هو زينة النبيين وأفضلهم!!وينفون عن كلمة ختم معنى الآخر والنهاية اللذان هما لازمان لكلمة ختم لأن الختم لا يكون في بداية الشيء ولا في وسطه؛ وإنما يأت في نهاية الشيء ضرورة وهو معنى الآخر إضافة للمعاني اللازمة لكلمة ختم التي هي التصديق والتواصل والصلاحية والاستمرار...الخ، ولكنهم يدلسون في دراسة كلمة ختم ويحرفونها عن معناها لإثبات مانفوه في القرءان وأثبتوه في الروايات التاريخية ، وعرضوا مجموعة من النصوص القرءانية يحاولون أن يثبتوا بها مفهومهم الرباعي المتعلق بميرزا لعلمهم أن الروايات التاريخية لاقيمة لها من الناحية العلمية والإيمانية، وصاروا يلوون عنق النصوص ويُقَوِّلونها مالم تقل أو تنص عليه ويتهمون الآخر بعدم فهمها أو تدبرها،وصار مثلهم كمثل الملك العاري الذي خرج على شعبه يدعي أنه يلبس أفخر الثياب من الحرير الشفاف الذي لايراه إلا الأذكياء فقط، فسكت الناس خوفاً من اتهامهم بالحمق والغباء، إلا أن أنطق الله طفلاً صغيراً قائلاً بصوت عالي: إن الملك عار دون ملابس،وهكذا فكر الجماعة الأحمدية إنها

ضالة دون ملابس تخدع الناس وتوهمهم بإتباع القرءان في إثبات عقيدتهم الرباعية الخرافية.

– فهم جماعة يتظاهرون بالتعقل والمنطق ويأخذون أ فكار غيرهم وخاصة "السير أحمد خان" وينشرونها على أساس أنها فكرهم ولايذكرون من قال بها قبلهم ليوهموا أنها من إنتاج نبيهم ومهديهم ليظهروه أنه عالم، أما الأفكار الأخرى اللا منطقية وخارجة عن العقل فهي صوفية هندية هندوسية مثل المنامات والخرافات والتنبؤات التي تجاوزت الآلاف وينتظرون حصولها ويبررون وجودها بقولهم : إن النبوءات لاتكون إلا رمزاً ولايعرف تأويلها إلا بحصولها وذلك ليغطوا كذبها وطريقة صياغتها اللا منطقية لا عقلاً ولا لساناً، مثل إن الله أوحى إلى نبيهم اسم له جديد لايعرفه أحد من النبيين قبله وهو(يلاش) وادعى أنه مختصراً عن جملة : يا لا شريك له، وبرروا ذلك بوجود أحرف مقطعة في سور القرءان مثل(الم، كهيعص) وهذا مثل هذا.!!

– وحتى يمرروا عقيدتهم الرباعية (المهدي،والنبي، وشبيه عيسى المسيح، ومريم) أنهم اجتمعوا في شخص واحد هندي يدعون أن الميرزا هو خادم للنبي محمد وتابع وظل له. وهذا القول مرفوض فنحن في غنى عن إتباع الخدم والظل، ونريد إتباع الأصل والسيد، وخاصة أن المفروض أن يكون الخادم والظل متعلق بحياة الأصل وليس بعده بألف عام، لأنه لا وجود لظل دون أصله، ولا وجود لخادم دون سيده، وسيدنا النبي محمد الخاتمي قد توفاه الله كما أخبر في كتابه وهذا يقتضي أن يختفي خادمه وظله معه.

– هل بعث الله شاعراً نبياً في تاريخ الجنس الإنساني ؟

– هل أتى نبيهم بشيء من العلم لا يعرفه أحد غيره أفاد المسلمين فيه؟

وخاصة النبي محمد الخاتمي فقد نفى الله عنه الشعر صراحة فكيف يأتي ظله أو خادمه كنبي شاعر؟

ومن يقرأ للخادم والظل ميرزا يجد أنه شاعر ويحاول أن يعرض شعره بشكل سجع أو جمل تحاكي القرءان في أسلوبه، وهذا يدل على أن الرجل شاعر وليس نبياً .

والخلاصة

فكر الجماعة الأحمدية فكر تدليسي خرافي متعلق ببعث مهدي ونبي ومسيح شبيه عيسى يكون خادماً وظلاً للنبي محمد، وكل هذا العرض هو لأخذ بيعة لرأس الجماعة ودفع الأموال الطائلة له ولمشاريعه من بناء مساجد في عواصم العالم خاصة للجماعة فقط، وترجمة للقرءان إلى لغات أخرى، وتسطيح الفكر الإسلامي وتحويله عن وجهته وإضلال المسلمين وجعل لهم مرجعاً غير القرءان متمثلاً بشبيه عيسى وابنه ومن يخلفه، وهذابصرف النظر عن علاقة النبي ميرزا وجماعته مع بريطانيا ،فالجميع يوحى إليهم إلهاماً من الله وقولهم حقاً وصواباً وصدقاً؛ بل انتقلت عدوى الوحي إلى كل أفراد الجماعة وصار معظمهم يدعي انه أوحي إليه ذلك الفهم والتدبر إلهاماً من الله أو رأى رؤيا في منامه، وأن دراسة مفهوم النص القرءاني تكون بالتقوى والدعاء والابتهال إلى الله، وليس بالبرهان والتدبر المنطقي اللساني، وبالتالي لايفقه ذلك إلا هم فقط أو من صار مثلهم دون عقل أو تدبر، وينظرون إلى المسلمين الآخرين المخالفين لهم على أساس أنهم كفرة ولايفهمون وجاهلون.

قراءة نقدية لفلسفة الخاتمية

للكاتب محمد هيثم إسلامبولي

اخترت مجموعة من النقاط لأظهر تناقض البحث وتوظيفه لما يخدم فكرة الأحمدية وإثبات بعث شبيه النبي عيسى تحت أي مسمى، وجعلت قوله مرقما وتحته تعليقي.

1- فهو - النبي محمد - إمام النبيين أسوة وقدوة!!!!

ت- كيف ذلك والله أمره أن يقتدي بمن قبله من النبيين أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ }الأنعام90

وكيف يكون الحي إمام للأموات؟

2- والختم صيرورة لا يحصل إلا بعد الطبع النهائي في أواخر الشيء، أي بعد إغلاق وإنهاء شرط الكمالات متضمناً الجهة المسؤولة

ت- بصرف النظر عن عد الختم صيرورة، هذا اعتراف منه أن الختم لايمكن أن يأتي أو يحصل إلا في نهاية الشيء وآخره، وهذا دليل على أن بعث النبي محمد أتى في آخر بعث النبيين ونهايتهم وأغلق باب بعث النبوة الإلهية!!

3- لذا كان لابد من اختراع ختم ملكي خالي من العيوب والسلبيات ، فما كان أمامهم إلا الاستفادة من حلقة زينة الإصبع وإضافة طبع نقوش الختم عليه، وبذلك صار سهل الحمل والاستعمال والحماية وأطلق عليه اسم خاتم بفتح التاء ،من باب التغليب بتسمية الشيء بأهم صفة فيه،

ت- بصرف النظر عن صواب أو خطأ تحليل سبب تسمية حلقة الزينة خاتم هو اعتراف من الكاتب أن مفهوم الزينة لكلمة الخاتم ليس مفهوماً لسانياً وإنما هو مفهوم اصطلاحي اكتسابي نشأ فيما بعد نتيجة استخدام الخاتم في حلقة بالأصبع وبالتالي يبطل مفهوم الزينة لكلمة الخاتم في القرءان لأنه نزل باللسان العربي المبين وليس بما اصطلح عليه الناس وتعارفوا عليه، وهذا يدل على بطلان قول الأحمدية: إن كلمة خاتم عندما تضاف إلى العقلاء يقصد بها زينة وليس آخر أو نهاية أو إغلاق

4- فالختم لا يدل على إغلاق ونهاية ليس بعدها شيء ،

ت- كيف لايشترط للختم أن يكون في نهاية الشيء وإغلاقه الذي ليس بعده شيء؟ والكاتب نفسه قبل قليل قال: (والختم صيرورة لا يحصل إلا بعد الطبع النهائي في أواخر الشيء، أي بعد إغلاق وإنهاء شرط الكمالات متضمناً الجهة المسؤولة ،) !!

واستخدام الكاتب لأمثلة اعتباطية من كلام الناس المعيشي لا قيمة له علميا كما قال هو نفسه(فاختلط الأمر على تعاقب الأجيال ، حتى ظن بعضهم أن لفظ خاتم جاء من إغلاق حلقة الزينة حول الإصبع حرز وحبس وإمساك..)!!

5- لأن أصحابه وأمته هم آل بيت النبوة ..

ت- كلمة (آل) لا تضاف إلا للعقلاء، نحو آل محمد ، وآل فرعون.....وهي تدل على الأتباع والأنصار والموالين، أما كلمة (أهل) فيصح أن تضاف للعقلاء ولغير العقلاء نحو(أهل الجنة) بمعنى الاختصاص وأصحاب الشيء ونقول:(أهل محمد) بمعنى خاصته من القرابة كالزوجة والأولاد.....

6- فالدين عند الله واحد ابتدأ من آدم ونوح وحتى محمد (ص) والمهدي المسيح..

ت- إضافة كلمة (المهدي المسيح) بعد بعث النبي محمد وإيهام القارئ إن ذالك الشخص من سلسلة نبيي الإسلام وكأنه أمر مسلم به.

وخلاصة النقد؛ البحث قاصر وتوظيف واضح لإثبات أن ميرزا غلام أحمد مهدي ونبي يوحى إليه بعد النبي محمد الخاتمي، وهي محاولة فاشلة غير علمية ومخالفة للقرءان وللسان العربي المبين.